الجزيرة الفاضلة

سنغافورة



أحمد مصطفى

الجزيرة الفاضلة

سنغافورة

أحمد مصطفى

الكتاب: سنغافورة الجزيرة الفاضلة

الكاتب : أحمد مصطفى / كاتب مصرى

الطبعة: الأولى 2008



وكالة الصحافة العربية

القاهرة

5 ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية

مدكور - الهرم - الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: 35825293 - 35867576 - 35867575

فاكس: 35878373

http://www.apatop.com

E-mail:news@apatop.com

رقم الايداع بدار الكتب: 15222

الترقيم الدولي: 0 - 154 - 466 -

سنغافورة الجزيرة الفاضلة

مقدمة :

من ورقة صغيرة إلى كتاب كامل

كان لزاما عليّ أن أحمل فى جيبى ورقة صغيرة عليها خريطة مكبرة لمنطقة جنوب شرق آسيا حتى تساعدنى فى الإجابة على سؤال الأقارب والأصدقاء الذى اعتدت أن أسمعه قبل سفرى ،وهو " وأين تقع سنغافورة هذه التى ستذهب إليها بالضبط ؟"

فسنغافورة بلد لا يعلم عنها غير الآسيويين كثيرا سوى اسمها ،وإن أعطيت الكثيرين منهم خريطة لجنوب شرق آسيا فلن يستطيع أحد أن يضع إصبعه بدقة على مكانها حتى يستغرق بعض الوقت فى البحث عنها فى مكان ما وسط عشرات الآلاف من الجزر المفتتة فى وسط أرخبيل الملايو ، بل إن اسمها على الخريطة سيكون أكبر بكثير من حجمها ،فتجده مكتوبا فى أغلب الخرائط على مساحة من مياه البحر بجوارها لأن مساحة تلك الجزيرة الصغيرة على خريطة العالم أو المنطقة لا تتسع لأن تكتب عليها حروف اسمها التسعة باللاتينية والثمانية بالعربية، ولكن الحجم ليس كل شىء بل هو أحيانا لاشىء ،ففى داخل هذا الحجم الصغير وجدت قصصا كثيرة وتجربة هى دون شك من ألمع التجارب إبهارا فى القرن العشرين ،بل وفى العصور الحديثة كلها ، تجربة تؤكد أن الإنسان ،وليس أى شىء آخر ،هو الذى يصنع التقدم أو عكسه، ويبنى الازدهار أو ضده ،ويريح نفسه وأجيال من بنيه وحفدته أو يورثها المشكلات والمحن.

أما صغر مساحتها وسكانها فهو أمر لا يعيبها بل يدعم تميزها وتفوقها الذى استطاعت به أن تحقق ما وصلت إليه رغم عدم توافر الإمكانات الكافية ، وعندما كان بعض الأصدقاء السنغافوريين يقولون لى :إن بلدنا صغير وليس كبيرا كبلادكم أو كالبلاد الأخرى من حولنا ، كان ردى عليهم دائما: إنكم صنعتم من بلدكم نموذجا يحتذى والنماذج بطبيعتها لابد أن تكون صغيرة، وفى هذا كنت صادقا أكثر منىَ دبلوماسي يحسن المجاملة بحكم طبيعة المهنة..

تلك التجربة الرائعة هى السبب الذى جعلنى أحول الخريطة الصغيرة إلى كتاب كامل أحاول أن أنقل فيه لقارىء العربية بعضاً مما يحدث على الجانب الآخر من المحيط الهندى من نقلات هائلة يذكرها الحاضر باحترام وسيذكرها التاريخ أيضا بكل التقدير ، وأضيف فيه كثيرا من المعلومات بل والقصص ـ أحيانا ـ التى تتجاوز ما اعتاد القارىء أن يراه فى مقالات وموضوعات متفرقات عن جنوب شرق آسيا والنمور الآسيوية والمؤشرات الاقتصادية المبهرة ،إلى غير ذلك من مواد تختزل الواقع ؛ نقع تارة فى مصيدة الانبهار التام بتجربة شعوب تبدو كما لو كانوا من أهل الخوارق يحيلون التراب تبرا والصخر ماساً ،لا يخطئون ولا ينسون وهو ما ليس صحيحاً ..،وتارة أخرى تبسط التجربة وتسطحها ولا تصل إلى السبب الأساسي الكامن وراء تقدم شعوب ودول بعيدة عنا فى أقصى الطرف الجنوبى الشرقى لآسيا وهى شعوب - لو علمنا - أقرب من نقتدى به ونأخذ عنه ربما أكثر من دول أخرى فى أوروبا وأمريكا.

فهم مثلنا وقعوا تحت الاحتلال وكانوا نهبا للمستعمر عقودا طويلة ، وهم أهل حضارة طاعنة فى القدم كحضاراتنا ، ثم أن هناك قدراً من التشابه بيننا وبينهم لا تخطئه عين الدارس فيما يتعلق بالكثير من النواحى الاجتماعية ،فعلى سبيل المثال فإن هؤلاء القوم يقدرون ما نقدره من روابط الأسرة والقيم

الاجتماعية المختلفة ، وهم كانوا حتى الأمس القريب يعانون من كل مشكلاتنا الاقتصادية وربما أكثر.

هذا الكتاب لا يتحدث عن الولايات المتحدة أو فرنسا أو بريطانيا أو اليابان أوحتى الصين أو غيرها من الدول الكبرى والعريقة التى قد نجد بينها وبين دولنا العربية فوراق تبرر التقدم الهائل الذى وصلت إليه ،بل هو عن جزيرة صغيرة كانت ملاذا للصيادين وأحيانا القراصنة فى الزمن البعيد ثم صنعت من نفسها دولة مستقلة ، وصمدت أمام التحديات العاتية ثم بنت إقتصاداً نقلها بحق من مصاف دول العالم الثالث إلى العالم الأول مرة واحدة دون أية ثروات طبيعية أو موارد تتحدث عنها كتب الاقتصاد اللهم إلا مورداً واحداً هو أعظم ما خلق الله عز وجل.. العقل البشرى، وإذا كانت المقارنة تتم بينك وبين من كان أقل منك حتى الأمس القريب ثم غدا اليوم فى وضع أفضل منك بكثير ،فإن الندم والأسى هو النتيجة الطبيعية لتلك المقارنة ، ولذلك فإن هذا الكتاب لا يتطرق من قريب أو بعيد لعقد مقارنات بين حال الدول العربية وسنغافورة بل يترك المقارنة لذهن القارىء الفطن آملا أن تكون مقارنة إيجابية بناءة تنير الطريق وتدل على ما يجب أن نفعل وكيف يمكننا اللحاق بقطارات عديدة فاتتنا منذ زمن ، وقد اخترت أن أجعل كتابى هذا يكتفى بوصف واقع عاش فيه الكاتب أربع سنوات من خلال عين وعقل عربى مسلم ،ومحصلة ما عاشه وجربه فى هذا البلد الصغير الجميل ومن تلك المحصلة يقدم الكتاب لكل ذى لباب مادة للفكر والتأمل فى حالنا وحال غيرنا، والعاقل فى هذا الزمن من يعرف كيف يقتدى بغيره لا كيف يرفع حاجبيه ويفغر فاه إنبهارا وإعجاباً ثم يعود لما كان فيه دون أن يغير شيئا فى نفسه أو فيمن حوله.

بيانات أساسية

الاسم الرسمي : جمهورية سنغافورة .

عدد السكان : ٦ , ٤ مليون نسمة.

المساحة : (٧٠٧ كم) .

معدل الجريمة بـ٨ في الالف .

إجمالي الناتج القومي : ٢ , ٢٤٣ مليار دولار.

نصيب الفرد من الدخل القومي: ٧١٤ , ٤٩ ألف دولار.

معدل النمو ٦ , ٧ ٪ .

معدل التضخم : ٧ , ١٪ .

إجمالي واردات السلع : ١٧٢ مليار دولار.

إجمالي صادرات السلع : ٢٠٣ مليار دولار.

إجمالي واردات الخدمات : ١ , ٤٢ مليار دولار.

إجمالي صادرات الخدمات : ٦ , ٤٢ مليار دولار.

عدد الزائرين للسياحة وغيرها : ٣ , ١٠ مليون نسمة .

الاحتياطي النقدي الرسمي : ٥ , ١١٤ مليار دولار.

حجم الاستثمارات الاجنبية في سنغافورة : ٦ , ١٥٠ مليار دولار.

حجم الاستثمارات السنغافورية في الخارج ٢ , ٩٤ مليار دولار.

ـ من الملائم أن الفت نظر القارىء الكريم إلى أن هذا الكتاب يتناول بالدراسة بلدا ينمو بشكل متسارع كالقاطرة التي من الصعب إيقافها حتى نعرف بدقة موقعها في اللحظة التي نتكلم فيها ،ولذلك فإن الاحصائيات التي ذكرتها في هذه القائمة تتغير بشكل سريع شهرا بعد شهر وعاما بعد عام وعلى ذلك فإنني أستميح القارىء العذر إن وجد اختلافا قد حدث في الأرقام السابقة بمرور الوقت نتيجة للنمو المستمر في الاقتصاد السنغافوري ، واقترح على القارىء المحب للتحقق والاستزادة الرجوع الى الموقع التالي WWW.sg للحصول على المعلومات الأكثر حداثة.

الفصل الأول:

مشوار بعيد

بعدما تم تكليفي بالعمل فى سفارة مصر فى سنغافورة كان رد الفعل الأول لدىّ ولدى الأصدقاء والعشيرة هو أن سنغافورة بلد جميل لكنها للأسف بعيدة جدا عن مصر ،وبالتالى فستكون العودة للإجازة " مشوارا طويلا " ، كان هذا الانطباع البالغ البساطة هو البداية ٠٠ وكم كان انطباعا سطحيا بالفعل .

ولم أكن أدرى عندما وصلت سنغافورة لاستلام عملى فى صيف عام ٢٠٠١ وتحديدا فى أول سبتمبر من هذا العام ،أن هذا المشوار إنما يتيح لى فرصة أن أرى ركنا مختلفا تماما من عالمنا لا تفصلنا عنه فقط مسافة المكان والجغرافيا ،بل أيضا مسافات أخرى كثيرة فى الفارق فى أسلوب الحياة وتناول الأشياء وإدراكها والرغبة الحديدية فى التقدم والنجاح ، وبعد مرور عام على إقامتى فى سنغافورة راودتنى بشدة فكرة أن أضع كتابا عنها يضع البلد وتجربتها أمام القراء سواء هواة أدب الرحلات ،أو هواة القراءة فى الموضوعات الاقتصادية أو السياسية ،أو حتى هواة القراءة البنّاءة للتاريخ وأعنى بهم الذين يقرأون التاريخ ليفهموا الحاضر ويفسروه ثم يرون المستقبل من خلال ما يقرأون . وأغلب ظنى أمام كل هؤلاء أننى أقدم لهم فى الحديث عن سنغافورة موضوعا جديدا لم تستهلكه الأقلام العربية بعد ، ولحسن الحظ فإننى لم أبدأ كتابة هذا الكتاب وقتها ، وأقول "لحسن الحظ" لأننى إن فعلت فى هذا الوقت لجاء الكتاب قصيدة

إعجاب خالص بما أراه فى بلد حسبتها للوهلة الأولى مدينة فاضلة فى كل شىء ،وهى رؤية لابد من الاعتراف بأنها رؤية قاصرة لا ترى الأشياء على حقيقتها ،فإدراك مكان من الأماكن أو بلد من البلاد على أنه مدينة فاضلة يعنى أنك لم تر الواقع ، وبالتالى فلن تستطيع نقله بأمانة لمن لم يره، ووجهة النظر تلك شاركنى فيها الكثير من الاصدقاء السنغافوريين الذين لم يسعدهم أبداً الحديث بانبهار بالغ عن بلدهم ،خاصة إذا ما شعروا أنك تبالغ ، وهذا هو أحد أسرار نجاحهم ، فهم يرون دائما أنه بجانب الكثير الذى تم إنجازه ، فإن هناك أكثر وأكثر مما لم يتم فعله وأن هناك مع كل شروق شمس فرصاً يجب اقتناصها و قدرات لابد من شحذها وموارد لابد من استغلالها حتى لو لم تكن تحت أيديهم هم ، وهكذا وجدت قول أبو الطيب المتنبى ينطبق على هؤلاء القوم بشكل واضح رغم انهم لا يعلمون شيئا عن أبياته تلك التى قال فيها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم وتصغر فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم وفى ذلك فقد تعلمت أمام السنغافوريين أن أؤكد إعجابي ببلدهم وبتجربتهم بشكل معتدل ودون مبالغة ،ولا أخشى من أن يثير إنتقادى لأى شىء حفيظتهم أو غضبهم بل على العكس فإن النقد البناء أمر مقبول ومن يرفضه شخص غير قادر على تطوير نفسه أو عمله أو حياته . ومع الاعتراف بأن التعميم للصفات على شعب من الشعوب هو خطأ فادح ، ومع الإقرار بأن فى كل مجتمع إنسانى كل الصفات الإنسانية صالحها وطالحها ، فإن ما سأذكره فى كتابى هذا هو محاولة لوصف الملامح السائدة والأكثر شيوعا فى هذا المجتمع .

فالمجتمعات كلها فى الشرق والغرب كالفسيفساء التى تجمع فى وحداتها

الصغيرة بين كافة الاشكال والالوان ، إلا انه عين الناظر إليها تلمح سمات سائدة أكثر من غيرها وألوانا تؤثر فى ناظريه أكثر من سواها وتعطى للوحة طابعا يغلب ولونا يسيطر ومذاقا يميز .

كانت الخطوة الأولى التى فضلت استهلال الكتاب بها أن أقدم للقارىء فكرة موجزة عن "جمهورية سنغافورة" فى شكل أقرب ما يكون إلى المعلومة الخام دون تلوين ، فدائما ما أؤمن بأن الحقائق لديها القدرة على إسباغ الوصف على نفسها بنفسها ، وهذا هو ما حرصت على تصدير هذا الكتاب به ، والآن أستأذن فى أن يكون الفصل الأول تعليقا أو محاولة للتعليق على ما أهم ما جاء فى تلك المعلومات " الخام " التى وجدها القارىء الكريم فى صدر هذا الكتاب.

المساحة: جزيرة صغيرة مساحتها الأصلية حوالى ٥٨٠ كم٢ ،أما مساحتها الآن فهى ٧٠٠ كم٢ بعدما قام السنغافوريون بردم أجزاء كبيرة من البحر لتوسيع رقعة جزيرتهم التى لم تعانى بعد من الاكتظاظ السكانى إلا أن التفكير فى المستقبل والأجيال القادمة واجب وفرض.

المناخ : حار رطب منذ بدء الخليقة وإلى قيام الساعة فنحن يا عزيزى على خط الاستواء (وتحديدا درجة ١ شمالا) وعلى الرغم من أن درجة الحرارة تتراوح ما بين ٢٧ إلى ٣٥ على مدار اليوم والعام بأكمله ، فإن الرطوبة الخانقة التى لاتقل فى الغالب عن ٨٥٪ تجعل من الإحساس بالحرارة إحساساً شديداً ، أما الأمطار فهى من أعلى المعدلات فى العالم فالمطر يهطل فى سنغافورة تقريبا ثلث أيام العام فى المتوسط .

السكان :السنغافوريون يزيدون قليلا عن ثلاثة ونصف ملايين نسمة وهو رقم يخيف الحكومة كثيرا ويثير خلافا بينها وبين المواطنين حيث ترى الحكومة

أنه لا بد من زيادة السكان بأى طريقة وإلا فالشعب معرض للانقراض كما يقول المسئولون وهى قضية طريفة دون شك ستتعرض لها بالتفصيل لاحقا.

اللغة الرسمية: هى اللغة الإنجليزية وهى لغة العمل فى جميع الأماكن وعلى الجميع إتقانها ، إلا أن هناك ثلاث لغات قومية للدولة وهى الصينية (لغة الأغلبية) ، والمالاوية (لغة المالاى المسلمين وبها قدر غير قليل من الألفاظ العربية) ، والتاميل وهى لغة أغلب الهنود المقيمين فى سنغافورة).

الموارد الطبيعية :صفر.. فلا فدان يزرع ولا منجم يحفر ولا بئر بترول يتدفق ولا غابات تقطع والصيد ضئيل للغاية ،ولا يوجد سوى الموقع الجغرافى والذى جعل من سنغافورة ميناء تاريخيا منذ قرنين من الزمان ثم جاء السنغافوريون المعاصرون ليطوروه ويجعلوا منه ثانى أكبر ميناء فى العالم من حيث حجم الحاويات التى يتم تداولها فيه سنويا والتى تتعدى حاليا اثنين وعشرين مليون حاوية سنويا .

نظام الحكم :

سنغافورة دولة ذات نظام حكم جمهورى برلمانى يرأس الدولة رئيس جمهورية منتخب إنتخابا مباشراً ،إلا أن الحكم الفعلى فى يد رئيس الحزب الذى يحصل على أغلبية الاصوات فى الانتخابات العامة وهو حاليا ومنذ الاستقلال حزب " فعل الشعب" أو People,s Actionوهو الحزب الذى يحوز دائما على الأغلبية الساحقة من مقاعد البرلمان ،وتصغر بجانبه أحزاب المعارضة الأخرى والتى لا تكاد تذكر، وبصفة عامة فإن إحتكار حزب واحد للسلطة أمر ثانوى فى حياة المواطن السنغافورى كما سيتضح للقارىء فيما بعد، فالسياسة لها وظيفة واحدة من وجهة نظر الحكومة والمواطن فى

سنغافورة ،وهى ضمان الرفاهية الاقتصادية أما الشعارات و المبادىء الايديولجية والسياسية فهى كلمات لا مكان لها فى صفحات الواقع السنغافورى .

التعليم:

إستطاعت سنغافورة أن تحقق واحدا من أعلى معدلات التعليم على مستوى قارة آسيا والعالم ككل ، إلا أن قصة سنغافورة مع التعليم هى أبعد من ذلك وأخطر ، فسنغافورة تطبق من نظم التعليم ما يعد ريادة حقيقية على المستوى العالمى لدرجة أن نظام التعليم السنغافورى يخضع لدراسة العديد من الدول الأكثر عراقة فى هذا المجال ويقتبس منه الكثيرون ما يرون أنه يصلح لهم .

فقد أدركت الحكومة السنغافورية منذ الاستقلال أن التعليم (وهو فن أساسى من فنون صناعة الإنسان) هو السبيل الوحيد لتحويل المواطن الى مورد طبيعى ذو قيمة كبيرة ، فإذا كانت الأرض قد بخلت بمواردها الطبيعية على هذه الجزيرة الصغيرة ، فإن الإنسان (إذا ما أُحسن بناؤه) يمكن أن يعوض فى قيمته البترول والذهب والحديد وكل المعادن والمحاصيل الأخرى، ونظرا لأن الخطة قد تم تطبيقها بحسم وحزم وتواصل لم يشبه إنقطاع أو تراجع ، فقد آتت ثمارها فى شكل مواطنين قادرين على المنافسة فى عالم التكنولوجيا والتقدم العلمى بل ويفوقون فى كفاءاتهم أبناء دول أخرى أعرق وأكبر بكثير .

ولعل نظرة على الارقام والحقائق قد تفيد فى رسم الصورة :

- نسبة الأمية : ٣٪ .
- عدد الجامعات : ثلاثة من أبرز جامعات آسيا وأشهرها حيث يسعى أثرياء آسيا من الهند والصين وإندونيسيا وغيرها إلى إرسال أولادهم للدراسة فيها

حتى يضمنوا لهم مستقبلا أفضل فى سوق العمل المحلية والدولية ،وهى: جامعة نانيانج والجامعة الوطنية و جامعة الإدارة .

* الانترنت جزء أساسى من العملية التعليمية لدرجة أن هناك موقعا على الانترنت لكل مدرسة وأحيانا لكل فصل من فصولها ، وهناك مواقع خاصة يقوم من خلالها الطلبة بحل واجباتهم المنزلية أو إعداد مشروعاتهم الدراسية، وإرسالها للمدرسين الّذين يتولون تصحيحها والتعليق عليها وإرسالها للطلبة.

* نسبة التسرب من التعليم : صفر ،والقانون يعاقب الوالد على هذه الجريمة بالحبس وأذكر أنه كان هناك ما يشبه "الحملة القومية" فى عام ٢٠٠٣ للبحث عن ثلاثة أطفال بلغوا سن التعليم الابتدائى ولم يتم تسجيلهم فى أية مدرسة وكان ضروريا البحث عنهم وعن ذويهم الذين تم تغريمهم بعدما اكتشفت السلطات أنهم غادروا البلاد مع والديهم قبل بداية العام الدراسى وظلوا فى الخارج دون إخطار وزارة التعليم !!

* بصفة عامة فإن المدارس السنغافورية تعد من أبهى المبانى فى المدينة من حيث تصميمها وأناقتها وإمكاناتها بما يفوق المدراس الدولية بكثير ،ولم أصدق عينى عندما شاهدت على سبيل المثال ملعب كرة القدم وصالة الجيمانيزيوم وألعاب القوى الخاصة بالمدرسة الانجلو صينية قرب وسط المدينة والتى ظننت للوهلة الأولى أنها إحدى كليات التربية الرياضية .

* العام الدراسى يبدأ فى أول العام الميلادى (الثانى من يناير كل عام) وينتهى مع منتصف شهر نوفمبر !! أى أن العام الدراسى هو العام الميلادى كله تقريبا مع إعطاء شهرى يونيو وديسمبر من كل عام كإجازة يتخللها أحيانا أنشطة دراسية للطلبة!!

※ المستوى الدراسى والتعليمى عالى التنافسية وكثيرا لم أستطع أن أساعد إبنى فى حل مسألة حسابية - وهو فى الصف الرابع أو الخامس الابتدائى -لفرط تعقيدها وصعوبتها ،وبدأت أشك فى قدراتى الحسابية والعقلية إلى أن قال لى أحد المدرسين فى مدرسة أخرى- بكل زهو - أن ما شعرت به طبيعى نظرا لأن مستوى مادة الرياضيات فى سنغافورة يعد الأعلى فى العالم ككل خاصة فى المرحلة الثانوية.

الاقتصاد :

ولأن هذا هو بيت القصيد ومربط الفرس كما يقال فإن الشرح سيطول بشأنه ربما على مدار الكتاب بكامله، أما فى هذا الموضع فيكفى القول بأن الناتج القومى الإجمالي يبلغ حوالى ١٠٨ مليار دولار بينما يبلغ حجم الصادرات سنويا ١٨١ مليار دولار وذلك الفارق يرجع لأن سنغافورة هى أنشط دول المنطقة الآسيوية كلها فى إعادة التصدير وهناك جزء غير صغير من التجارة البينية بين دول المنطقة تمر عن طريق تجار سنغافوريين عرفوا من أين تؤكل الكتف وكيف تدار الصفقات من اليابان وكوريا فى أقصى الشمال وحتى أستراليا فى أقصى الجنوب ومن الصين والفلبين شرقا وحتى الهند ثم الشرق الأوسط وأوروبا غربا .

ثم إن لهم فى التجارة مع الولايات المتحدة شأن آخر عظيم خاصة بعدما وقعوا معها اتفاقية للتجارة الحرة نالت بها سنغافورة وضعا تفضيليا مع الولايات المتحدة تحسده عليها دولا أكبر منها بكثير . وعلى سبيل الاختصار أيضا فإن الموارد الاقتصادية الرئيسية والأهم لسنغافورة تتمثل فيما يلى:

١- الصناعة :

هناك العديد من الصناعات فى سنغافورة إلا أن أهمها هى صناعة الإلكترونيات. وعلى الرغم من أن سنغافورة لا تصنع الكثير من المنتجات

الإلكترونية المتكاملة إلا أنها تتخصص فى صناعة بعض مكونات تلك الأجهزة ،وفى الغالب أغلى الأجزاء فيها وأكثرها تطلبا للتكنولوجيا الدقيقة فإذا كنا نتحدث عن الحاسب الآلى مثلا فالمصانع السنغافورية غالبا ما تقوم بصناعة المعالج processor وهو أغلى وأعقد جزء فى الجهاز .

أما صناعة البتروكيماويات فهى أيضا أحد دواعى الإعجاب فى سنغافورة التى لا تنتج شيئا من البترول الخام ، ورغم ذلك استطاعت أن تطور صناعات بتروكيماوية متفوقة وكثير منها يتخصص فى إنتاج منتجات فائقة التطور من منتجات البتروكيماويات يدخل بعضها كمدخلات فى صناعة منتجات بتروكيماوية أخرى تشتريها دول كالسعودية ودول أوروبية كثيرة لإنتاج البلاستيك والبوليستر وغيره ، ويتصل بالبتروكيماويات أيضا صناعة التكرير ، فسنغافورة تمتلك ثالث أكبر مصفاة نفط فى العالم يمر عليها جزء كبير من النفط الذى تستورده الصين واليابان من دول الخليج .

أما صناعة الإنشاءات فهى من الصناعات القديمة فى سنغافورة التى كانت من أوائل البقاع فى جنوب شرق آسيا التى شهدت أبنية غربية الطراز منذ أن حط ستامفورد رافلز رحاله فيها وهى قصة سنأتى لذكرها فى موضعها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب.

ومنذ ذلك الوقت إشتغل الكثير من السنغافوريين بحرفة البناء . وفى العصر الحاضر أصبح فى سنغافورة الكثير من شركات الإنشاءات الكبرى وذات الصيت الذائع فى عالم الإنشاءات على مستوى القارة الآسيوية بل وأجزاء كثيرة خارجها. والزائر لسنغافورة يرى بوضوح المستوى المتميز للانشاءات بمختلف أنواعها فى جميع أنحاء سنغافورة ويشهد على ذلك شبكات مترو الأنفاق وناطحات

السحاب والطرق السريعة التى تقطع الجزيرة فى كافة الاتجاهات ،وغير ذلك من أبنية مميزة تم تنفيذها على أيدى شركات سنغافورية، والسوق السنغافورية صغيرة فالشعب السنغافورى أربعة ملايين كما ذكرنا بالإضافة إلى ثلاثة ملايين من المقيمين الأجانب وحوالى سبعة ملايين من السياح سنوياً ، وإجمالى هذا العدد لا يشبع طموح الصناعات السنغافورية التى عرفت منذ السبعينات طريقها إلى أسواق أرحب وأوسع فى الولايات المتحدة وأوروبا ودول جنوب شرق آسيا .

إلا أن المنافسة التى تواجهها الصناعات السنغافورية منافسة شرسة وضارية من ماليزيا والصين وإندونيسيا وتايلاند وغيرهم من الدول التى نقلت التكنولوجيا ثم عرفت كيف تتقنها وتطورها فى شكل أبهى وأجمل ممن اخترعوها فى الأصل وبتكلفة أرخص بفضل عمالتها الرخيصة ومواردها الوفيرة، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت سنغافورة ـ حتى الآن على الأقل- الصمود فى وجه هذه المنافسة رغم أنها لا تملك ما يملكه جيرانها من موارد طبيعية أو أيد عاملة رخيصة ،وكان مفتاح السر هو التخصص الرفيع فى إنتاج ما لا يستطيع الآخرون إنتاجه وتوفير البيئة الاستثمارية المتميزة فى المنطقة بما يتفوق على كل الدول المجاورة، فسنغافورة تملك نظم اتصالات ومواصلات لا تتمتع بها أية دولة أخرى من دول جنوب شرق آسيا العشر والتى تعرف باسم الآسيان ، وتضاهى بما لديها ما لدى دول عملاقة كاليابان وأحيانا الولايات المتحدة .

وقد سمعت بنفسى مرارا من مديرى بعض كبريات المؤسسات العالمية التى تتخذ من سنغافورة مقرا إقليميا لها فى جنوب شرق آسيا أنهم يجدون فى سنغافورة بنية تحتية تتفوق فى بعض الجوانب على ما لدى الولايات المتحدة وأوروبا ، خاصة

ما يتعلق بسهولة إنجاز الإجراءات والتغلب على البيروقراطية والشفافية ،ويسر الحصول على المعلومات التى تعد دون شك عصب الاقتصاد المتطور .

٢- الميناء والتجارة :

للميناء قصة كبيرة فى حياة سنغافورة التى تتمتع بموقع استراتيجي على ناصية منطقة مضايق لجنوب شرق آسيا ،والتى تزدحم منذ قرون بحركة الملاحة التى تحمل البضائع والبشر من الصين واليابان وكوريا وبقية بلدان الشرق الأقصى إلى الهند وبقية السواحل الآسيوية الجنوبية ثم الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا . وعلى مدى سنوات طويلة ظلت أهمية سنغافورة الوحيدة أنها ميناء ، وكان يمكن أن يكتفى السنغافوريون بهذه المكانة يجنون من ورائها بعض المال يعيشون منه وكفى ، ولكن ما حدث كان شيئا مختلفا كما ذكرنا ، فقد خلقوا لأنفسهم واقعا جديدا ظلت الميناء تحتل فيه موقعا متميزا .

وميناء سنغافورة كائن حى نابض يخضع للتطوير والتحديث كل عام بل كل يوم ، ولا يكتفى السنغافوريون بالمكانة التى وصل إليها ميناؤهم كثانى أكبر ميناء للحاويات على مستوى العالم كله بل يريدون المزيد والمزيد.

فقد استغل السنغافوريون ميناءهم على ثلاثة محاور رئيسية ، أولها كبوابة لتصدير منتجاتهم ،وثانيها لإعادة تصدير منتجات غيرهم يشترونها بثمن ثم يصدرونها لآخرين بثمن أعلى ،والمحور الثالث تحويل الميناء لأكبر مركز لتموين وإمداد السفن سواء الراسية أو العابرة فى منطقة جنوب شرق آسيا كلها ، ويعد أسلوب العمل الدقيق والسريع والبالغ الكفاءة فى الميناء السنغافورى مثالا نموذجيا على مستوى العالم ككل ، ويتكون ميناء سنغافورة من سبعة موانى فرعية أو أرصفة تتوزع على سواحل الجزيرة هى ميناء برانى وميناء كيبل

وميناء باسير بانجانج وميناء تانجونج باجار وميناء كوسكو ثم ميناء جزيرة جورونج الصغيرة التى تقع فى جنوب شرق جزيرة سنغافورة، ويستخدم ميناء سنغافورة أعلى ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة فى كل شيء ويكفي لوصف مدى التقدم الذى حققه السنغافوريون فى هذا الصدد أن أذكر قصة دخولى ميناء باسير بانجانج لأول مرة وكان ذلك ضمن جولة رسمية لمسئول مصرى رفيع المستوى كان فى زيارة لسنغافورة ،حيث طاف بنا أتوبيس صغير جوانب الميناء ، وشعرت للوهلة الاولى أن اليوم هو يوم عطلة ، فعلى مدى نحو ١٥ دقيقة من التجول على الارصفة وبين الأوناش والسيارات لم أر مخلوقا يمشى أو يتجول إلا سائقى الشاحنات وهم بداخلها لا يخرجون منها ، ولكننى لاحظت أن الأوناش التى تعد بالمئات حولنا لا تتوقف عن الحمل والتفريغ وبسرعة، ويبدو أن المسئول السنغافورى المرافق لاحظ دهشتنا فبادر إلى التوضيح بأن هذا الميناء غير مسموح فيه بالتجول على الأقدام لكل من هب ودب ،وأنه يعمل أتوماتيكيا بنسبة ١٠٠٪ ولتوضيح الفكرة أخذنا المسئول إلى مبنى صغير يقع فى وسط الميناء تقريبا حيث صعدنا فيه إلى صالة وجدنا فيها ستة أشخاص بالعدد يجلسون أمام شاشات كومبيوتر وأمام كل منهم لوحة مفاتيح وعصا كعصا الألعاب الإلكترونية تماما Joy stick وكل منهم يقوم بتحريك الأوناش التى يراها على شاشته ويحمل بها الحاويات من الشاحنات الى السفن أو بالعكس .

كان المشهد مبهرا لدرجة أننا لم نسأل وماذا عن إجراءات التخليص الجمركى والأمني وتصاريح الشحن أو الإفراج وأذون التصدير أو الاستيراد ، أوإجراءات الفحص الفني والرقابة الغذائية أو الصناعية ،وغير ذلك من

المستنقعات والعوائق والجبال بل والبراكين التى تخنق إقتصادات دول أخرى ، إلا أن الرجل استطرد من تلقاء نفسه فأوضح أن كل الإجراءات بمختلف أنواعها يتم إنهاؤها عن طريق إستخدام شبكة الإنترنت حيث يتم ملء النماذج المطلوبة واستيفائها قبل وصول الشحنة الى الميناء سواء كانت مصدرة أو مستوردة ، أما التفتيش فهو أيضا يتم قبل أن تصل الشحنة الى الميناء فإن كانت قادمة من خارج البلاد فيتم التفتيش عليها والسفينة فى عرض البحر ، وإن كانت مصدرة فيتم التفتيش عليها قبل وصولها إلى الميناء وهناك بالفعل تفتيش على التفتيش ومراجعة على المراجعة ، والنتيجة هى أن متوسط زمن تخليص الحاوية الواحدة فى ميناء سنغافورة هو دقيقتان فقط !! والنتيجة التالية أن هذا الميناء يتداول كل عام ما يزيد على ٢٢ مليون حاوية ويفضل التعامل معه أكبر شركات الشحن البحرى فى العالم ويتعامل مع أكثر من ٦٠٠ ميناء فى مختلف أرجاء المعمورة ، أى أنه من الأسهل كثيراً أن نعد الموانى التى لا يتعامل معها هذا الميناء من أن نعد الموانى التى يتعامل معها، ونتيجة أخرى أن أصبح لهيئة الموانى السنغافورية خبرة عريضة فى إدارة الموانى ، وهناك أكثر من ٢٠ ميناء حول العالم تديرها هيئة الموانى السنغافورية وفقا لعقود مبرمة مع حكومات دول تلك الموانى .

٣-السياحة :

سنغافورة بلد لا تملك أى مقوم طبيعى من مقومات السياحة بل إن مناخها ثابت على الحرارة والرطوبة وأمطارها تهطل أكثر من مائة يوم كل عام ،وعلى الرغم من ذلك فإن ما يقارب ثمانية ملايين من السائحين يقصدون سنغافورة سنويا ، وقبل شرح الأسباب تنبغى الإشارة إلى أن شطرا كبيرا من هؤلاء

السياح يأتون من دول ملاصقة لسنغافورة كماليزيا وإندونيسيا وبعضهم يأتى بشكل شبه دورى للنزهة أو كرجال أعمال وتجارة .

فقد استطاعت الحكومة والمستثمرون أن يجعلوا فى سنغافورة كل ما يجذب السياح على اختلاف تفضيلاتهم من فنادق تعد من بين الأفضل على مستوى العالم إلى أماكن الشراء إلى خدمات ميسرة من كل نوع إلى أماكن تشع بالبهجة والتسلية ،ويكفى القول بأن جزيرة صغيرة تقع جنوب سنغافورة وتكاد تلاصقها هى جزيرة سنتوزا قد تم تحويلها بالكامل إلى مشروع سياحى ضخم ،ونجحت فى خلال أعوام قليلة أن تصبح من أكثر نقاط الجذب السياحى على الخريطة الآسيوية والعالمية بعدما بلغ زوارها نحو ٩ ملايين زائر من السنغافوريين والأجانب.

وقد قامت فلسفة السياحة السنغافورية (إن جاز هذا التعبير) على أساس واحد بسيط ما طبقته دولة من الدول إلا وحققت نجاحا كبيرا فى مجال السياحة ،وهو أن الدولة كلها ينبغى أن تتحول إلى مكان محبب جاذب للسياح الذين يدفعون لكى يستمتعوا لا لكى يعانوا أو يُختبر مدى صبرهم وجلدهم ، وفى هذا السبيل فإن السائح هو شخص (على العين والرأس) منذ ما قبل وصوله وبالتحديد منذ لحظة قراره بأنه يريد السفر الى سنغافورة ،إلى وصوله وحتى ما بعد مغادرته أرض سنغافورة محملا بعاديات صغيرة وذكريات جميلة يتحول بها إلى رجل مبيعات وترويج لدى غيره من الأصدقاء والمعارف الذين سيحكى لهم عما شاهده واستمتع به فى سنغافورة التى (مرة ثانية) لا تملك أى مقوم طبيعى من مقومات السياحة لكنها دون شك تملك الكثير من المقومات التى تم صنعها وإيجادها من لا شىء تقريبا.

٤- الخدمات المالية :

من يريد أن يجذب مستثمرين الى بلده فعليه أن يعرف أن رأس المال ليس فقط جبانا كما يقولون ،ولكنه أيضا ذكى بل حاد الذكاء يفكر جيدا قبل أن يرسل أمواله إلى بلد ما ، ولا يفعل حتى يتأكد من أن هذا البلد مهيأ تماما لكى يجعل المليون التى أرسلها المستثمر مليونين بل وعشرة فى أقرب فرصة ممكنة .

والبيئة المواتية للاستثمار لا تتأتى إلا بشروط من أهمها توفر خدمات مالية متطورة ، فالبنوك والمؤسسات المالية هى الشريان الذى تسير فيه المعاملات المالية بين الشركات والمؤسسات والحكومات ولا بد أن يكون هذا الشريان فى أفضل حالة وكفاءة ممكنة وإلا توقف الدم وماتت التعاملات بالتأخير والبيروقراطية.

وسنغافورة مقر إقليمي فى جنوب شرق آسيا لأكبر بنوك العالم الأوروبية والأمريكية ولدى سنغافورة أيضا بنوكها الضخمة التى تنتشر فروعها فى مختلف أنحاء العالم ، والذهاب لإنجاز أى تعامل مصرفى فى أى بنك فى سنغافورة هو فى الغالب نزهة لطيفة حتى لو كان هناك طابور طويل أمام الشبابيك ، فهذا الطابور لن يلبث أن يتلاشى ويمر سريعا أمام كفاءة الموظفين الجالسين وراء تلك الشبابيك ، والتحويلات المالية وفتح خطابات الاعتماد واستخراج الشهادات البنكية وغير ذلك من التعاملات تتم مع مختلف أنحاء العالم بيسر مقصود حتى يتحدث الجميع عن كفاءة الخدمات المالية فى سنغافورة ويذيع الصيت فى هذا الشأن كما ذاع فى غيره.

وعلى الرغم من أن سنغافورة ليست اليابان أو الصين ،فإنها ولعدة أسباب على رأسها كفاءة الخدمات المالية و الاتصالات ، تصنف كمدينة الأعمال الأولى فى آسيا كلها وذلك وفقا لاستطلاع رأى أجرته مجلة التايم عام ٢٠٠٥.

الفصل الثانى :

كتاب الجغرافيا وكتاب التاريخ

عندما كتب الراحل العظيم جمال حمدان عن عبقرية الموقع المصرى ،ومزج ما لديه من علوم الجغرافيا بعلوم التاريخ والاجتماع والاقتصاد ،فأخرج لنا درة من درر مكتبتنا العربية ،لم تأخذ بعد ما تستحق من الاحتفاء والتكريم ، فقد كان حمدان يشرح أيضا أسسا تنطبق إلى حد ما على دول أخرى رسم موقعَها مصيرُها وتاريخُها وإقتصادها ،ووضع ملامح وصفات شعوبها ولوّنها بألوان النجاح والإخفاق و التجارب المتراكمة ،حتى وصلت إلى ما وصلت إليه فى العصر الحاضر، ويعنى ما سبق أنه كما وأن هناك شخصية لكل إنسان ، فإن هناك شخصية لكل دولة من الدول ، أو بالأحرى لكل شعب من الشعوب ، مبنية على موقعها وتاريخها ، ويظهر ذلك أكثر ما يظهر على تلك الدول التى شاء الله لها أن تقع موقعا مميزا لا تخطئه عين الناظر إلى خارطة العالم وأقاليمه المختلفة وهو ما ينطبق على سنغافورة.

عن التقدم والتخلف:

وقد حاول بعض العلماء والمفكرون ومنهم جارد دايموند) (فى شرحهم لأسباب التقدم والتخلف بين شعوب العالم أن يفسروا ذلك على أسس تقوم على طبيعة المجتمعات ، التى هى إلى حد ما مماثلة لطبائع الافراد ،بمعنى أن هناك من المجتمعات من يقدّر الاختراع والتطوير والأخذ عن الغير ،وهناك من المجتمعات ما يميل إلى التقليدية وعدم خوض غمار التغيير بما يحمله من مخاطر ،ويميل إلى البقاء والركود حيث هو ،ويربط ذلك الركود بالتمسك

بالتقاليد والأصول الموروثة عن الآباء والأجداد، فتمر عليه السنون وهو واقف مكانه ثم ما يلبث أن يبدأ فى التأخر والعودة للوراء لأن التاريخ لا يعرف السكون ،وإنما يعرف الحركة التى هى إما للأمام أو للخلف ولا خيار ثالث، وأرى أن لهذا التفسير وجاهته ،وإن كان لا يذهب عميقا ليعرف السبب الأول الذى جعل من المجتمع الألماني مثلا مجتمعا محبا للتطوير والابتكار ومقدرا للعلم و العلماء ومنجزاتهم ،بينما بقيت مجتمعات أخرى فى أفريقيا أو تيمور الشرقية مثلا تعيش عيشة الجاهلية الأولى فى كل مظاهر حياتها لأنها رفضت التطوير والاختراع أو حتى النقل عن غيرها، وفى الواقع فإن التفسيرات الممكنة والمنطقية ـ والتى تعترف ضمناً بتفسير دايموند لأسباب التقدم والتخلف تكمن فى طبيعة البشر أنفسهم ، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس متساوون فى عقولهم أو قدراتهم تماما كما لم يخلق النباتات أو الحيوانات متساوية فى كل شيء بل أن الفصيلة الواحدة من نفس النبات تطرأ عليها إختلافات أحيانا ما تكون جوهرية باختلاف أماكن زراعتها ، كذلك فإن الفيل الأفريقى مثلا يختلف عن الفيل الآسيوي والنمر الهندى مختلف عن الماليزى ، وحبة الفول التى تزرع فى وادى النيل مذاقها يختلف عن تلك التى تزرع فى وادى اليانج تسى فى الصين وهكذا، ونتيجة لذلك فإنه من الحتمى الاعتراف بأن هناك فروقا بين البشر قد تكون نتيجة للمجتمع وتقاليده المنفتحة ،أو نتيجة لصعوبة ظروف الحياة التى تدفع للمغامرة والابتكار لمواجهة الخطر أو تلبية الطموح ،أو نتيجة لدرجة الاحتكاك بالعالم الخارجى ونقل الخبرات عنه إما بالحرب أو التجارة أو غيرها ، أو حتى نتيجة لظروف مناخية أو جغرافية وجد الناس أنفسهم فيها رغما عنهم .

تلك العوامل تتكاتف كلها لكى تشكل ملامح المجتمع المميزة ، فتارة تجعله مجتمعا منغلقاً عن غيره من المجتمعات لأسباب ثقافية أو دينية ، وتارة تجعل

مجتمعا آخر يعيش فى رغد من الموارد الطبيعية مما جعله يعتاد الكسل والتواكل، أو مجتمع يعيش فى ركن بعيد من الكرة الأرضية لايرى أحدا ولا يراه أحد، وربما لا يرغب فى أن يحدث ذلك ويتحاشاه،وفى ضوء هذه المقدمة فإن تفسير التقدم الذى أحرزته سنغافورة لا يمكن أن يتم دون أن نقرأ معا كتابَيّ الجغرافيا والتاريخ لهذه الجزيرة الصغيرة حتى يمكن أن نضع الأمر فى نصابه دون تهويل ودون استخفاف بما تحقق فى هذه الدولة الصغيرة ،التى تعد أبرز مثال استطاع أن يدحض نظرية ارتباط ارتفاع حرارة الجو بالتخلف والتأخر .

تلك النظرية التى يرى أنصارها أن الدول المتخلفة تعيش غالبا فى مناطق حارة تؤدى إلى تخفيض النشاط البدنى والعقلى لأبنائها ،وتجعل همهم الاحتماء من لهيب الشمس ووهج الأرض، فسنغافورة دولة استوائية حارة ،ولكنها واحة تقدم واستنارة ،ودولة من دول العالم الأول رغم ما يعيبها من جو حار ورطب على مدار العام تقريبا ، وقد يكون من الأفضل أولا أن نفتح كتاب الجغرافيا قبل كتاب التاريخ ذلك أن الجغرافيا طالما فسرت التاريخ أو حتى رسمته بريشتها فى أحيان كثيرة.

الكتاب الأول كتاب الجغرافيا ـ على ناصية الطرق:

مرحبا بكم فى جنوب شرق آسيا .. المنطقة هنا مزدحمة للغاية ومنذ عصور بعيدة ..ليس فقط بالآلاف من الجزر الكبيرة والصغيرة بل أيضا بالسفن التى تنقل كل شىء من أى مكان لأى مكان ،وتلك السفن تريد بالطبع ،فى نقاط معينة مرافئ للتموين والتجارة والاستراحة ، وتلك النقاط ليست بعرض البحر ـ طوله كما يتخيل الناظر إلى الخريطة بل هى مواقع نادرة تحددها خطوط سير الملاحة ،والتى تتسم فى منطقة جنوب شرق آسيا بالتعقيد والتداخل ،بحيث لا تترك للسفن المتجهة من الصين واليابان وكوريا والفلبين شرقا إلى الهند وبقية

آسيا والشرق الأوسط وأوروبا غربا ،سوى ممر ضيق نسبيا ترسم حدوده الشواطىء المتقابلة لماليزيا شرقا وجزيرة سومطرة الإندونيسية العملاقة غربا، لتكون ما يعرف بمضيق ملقا أطول وأكثر الممرات الملاحية فى العالم إزدحاما، وعلى المدخل الجنوبى لهذا المضيق تقع جزيرة سنغافورة ويقع حولها جزر أخرى بعضها يفوقها فى الحجم ويساويها فى الميزة الاستراتيجية تقريبا .

إلا أن سنغافورة ولأسباب سياسية وتاريخية ، إستطاعت أن تكون هى الميناء المفضل فى المنطقة وأن ترث ما كان لميناء ملقا الماليزي العريق من مكانة فى العصور الوسطى وقت أن كانت ملقا هى نقطة الاتصال الرئيسية فى منطقة المالايو بالشرق الأوسط ودول الخلافة الإسلامية العظمى وقتها، وحتى اليوم فإن موقع سنغافورة يعد المورد الطبيعي الوحيد لها بعد البشر ، فكما ذكرنا فإن فى هذه الجزيرة لا فدان يزرع ولا شبكة تصطاد ولا منجم يحفر أو بئر بترول يتدفق ، ومرور السفن كان هو المورد التقليدى لسكان سنغافورة من قديم الزمان حيث مارسوا أنواعا بسيطة من التجارة مع تلك السفن وخاصة تجارة المطاط ، أو كانوا يبيعون لها المؤن والوقود، ولاشك أن إعادة التصدير كانت ولا زالت أحد موارد الثروة فى سنغافورة، ويعد هذا النوع من التجارة أفضل استغلال للموقع الجغرافى لأى مدينة وضعتها ظروفها على ناصية الطرق التجارية بين القارات، من ناحية أخرى فإن الموقع الجغرافى المتوسط لسنغافورة فى منطقة جنوب شرق آسيا أعطاها ميزة كبيرة فى مجال السياحة ، فمن السهل جدا أن تدخل سنغافورة فى أى برنامج سياحى لزائرى إندونيسيا أو ماليزيا أو الفلبين أو تايلاند أو حتى استراليا و الهند والصين ، ويمكن تأكيد ذلك بتجربة بسيطة لو رسمنا دائرة على الخريطة تشمل كل الدول التى ذكرناها ، فسوف نجد سنغافورة هى تقريباً مركز هذه الدائرة .

وعلى الرغم من أن سنغافورة لا تملك موقعا عبقريا متفردا أو لا يمكن استبداله، كالذى تملكه بنما أو تركيا على سبيل المثال ، فإن استفادة سنغافورة من موقعها الجغرافى جاءت نتيجة طبيعية لنهج حسن استغلال الفرص بل والوثوب لاقتناصها إقتناصا وإدراك أن الدنيا تؤخذ غلابا ، وأيضا حسن الترويج وبناء السمعة وبذل أقصى الجهد حتى لا يشوب تلك السمعة شائبة ما ، وبتلك الطريقة إستطاعت سنغافورة أن تزيد من القيمة الطبيعية لموقعها الجغرافى وتصقله على مر السنين، هذا هو ملخص كتاب جغرافيا هذه الجزيرة ! !

تاريخ قريب وحاضر أهم:

أما كتاب التاريخ فهو كتاب صغير عندما نتحدث عن الماضى البعيد ولكنه كبير عندما يكون الحديث عن التاريخ المعاصر ، وبمعنى آخر فإن سنغافورة دولة قد بُعثت تاريخيا للمرة الأولى فى حياتها فى العصر الحديث دونما سابقة إزدهار فى عصور قديمة أو وسطى يمكن للسنغافوريين أن يتغنوا بها بوصفها ماضيهم التليد، ولذلك فإن السنغافوريين دائما ما يشيرون فى أحاديثهم خاصة لذوى التاريخ الأقدم على مستوى العالم كالمصريين أنهم لا يملكون ماضيا مجيدا ولكنهم يملكون حاضرا مبهراً ، وقناعتى أن هذا هو الأهم والأخطر والأكثر صعوبة أيضاً.

أقدم ما أمكن العثور عليه عن سنغافورة يشير إلى أنها كانت فى القرن الثالث الميلادى تسمى Pulau Ujong أو الجزيرة الواقعة فى نهاية شبه الجزيرة والمقصود بالطبع شبه جزيرة المالايو وقد أسماها الصينيون Puluozhong وهى كلمة لها نفس المعنى ، واحتفظت سنغافورة بهذا الاسم قرونا ظلت فيها مجرد جزيرة تصعب الحياة فيها لكثافة غاباتها ،وهو ما جعلها شبه مهجورة إلا من بعض الصيادين الذين يعيشون على طرفها الجنوبى وأحيانا القراصنة الذين يستريحون فيها من مغامراتهم .

ثم تشير إحـدى المخطوطات اليابانية عام ١٣٦٥ الى جـزيرة سنغافورة باسم Temasek أو جزيرة الماء .

أمـا إسم سنغافـورة أو Singapura بالماليـزية ،فقـد جاء من أسطورة قـديمة تحكى أن ملكا من ملوك إندونيسـيا فى القرن الخامس عـشر ،كان يسمى سـانج نيلا اوتاما ،كان مـسافرا بسفـينته حينما هبت عـاصفة اضطرته إلى اللجوء لـهذه الجزيرة الصغيرة ، فـشاهد فيها أسدا فـأسماها جزيرة الأسد أو سينجـابورا باللغة الماليزية .. هذا كل ما فى الأمر ، ومن هذه القصة بالغة البسـاطة أخذت الجزيرة اسمها ،وما زال السنغافوريون يحتفون بهذه القصـة لدرجة أنهم يبنون من أجلها التماثيل لهذا الأسد ويجعلونه شعارا للدولة رغم أن القصة فى ذاتها تخلو تقريبا من أى مضمون يستحق كل ذلك ،هذا على إفتراض أنها وقعت أصلاً ، حيث أن المعروف عن سنغافورة أنها كانت تمتلىء قـديما بالنمور وليس الأسـود، وفى القرن الخـامس عشر أيضـا ،كانت سنغافورة ،بوصفها جزءا من شبه جزيرة المالايو، تشهد الحروب التى كانت قائمة بين إمـبراطوريتين قـويتين فى هذا الوقت ،وهمـا إمـبراطورية سيـام (تايلاند الحاليـة) وإمبراطـورية ماجاباهيت الإندونيـسـية التى كانت تتخـذ من جزيرة جاوه مقـرا لها، والتى سيطرت على سنغـافورة فترات مـتقطعة إلى أن استطاع اسكندر شـاه أن يقيم سلطنة ملقا ويضم لها سنغافورة ، وخلال الفترة من هذا التاريخ وحتى القرن التاسع عشـر فإن المتاح عن تاريخ سنغـافورة لا يكاد يذكـر ، حيث إن التاريخ يتحدث عن الممالك و الإمبراطوريات فى المنطـقة ككل ولايخص سنغافورة التى كانت جزءا لا يتجزأ من دول شبه جزيرة المالايو- بشىء خاص دون غيرها .

ثم يبدأ الجزء الأهم من تاريخ سنغافورة مع القرن التاسـع عشر عندما كانت تحت حكم سلطان جوهور ، وجوهور هى الولاية الجنوبية من ماليزيا والمجاورة لسنغـافـورة ، وتحـديدا فى ٢٩ ينايـر عـام ١٨١٩ عندمـا رست على سـواحل

سنغافورة الجنوبيـة سفينة بريطانية تحمل على متنهـا رجلا نابها قوى الإرادة
ميد النظر، غير وللأبد معالم ومستقبل هذه الجزيرة الصغيرة.

هذا الرجل هو السير ستامفورد رافلز النبيل الإنجليزي المغامر الذى استطاع
يأخذ الإذن من الحـاكم العام البـريطانى للهند اللورد هاستنج ، بـأن يقيم فى
لمرف الجنوبى من شبه جيرة الملايو (محطة للتجارة) تكون تابعة لشركة الهند
ىرقية ،وتكون امتدادا لمحطات تجارية بريطانية أخرى أثبتت نجاحها فى المنطقة
ـ ميناء ملقـا (التى إقيمت عام ١٧٩٥) وجزيرة بينـانج على الساحل الغربى
ـبه الجـزيرة (عام ١٧٨٦) وبعـد أيام قام بتـوقيع اتفـاقيـة مع كل من سلطان
ـهور السلطان حـسين وحاكم سنغافورة ،تم بمقـتضاها تحويل سنغـافورة الى
ىناء ومـحطة تجارية تـابعة لبـريطانيـا مـقابل عـطاء سخي من الإمـبـراطورية
ـيطانية، وسرعان ما أكد الحظ وقوفه بجانب هذه الجزيرة الصغيرة التى أثبتت
ىير رافلز أن إختـياره كان فى محله ،فبدأت الأرباح تعلن عن نفـسها وفاقت
ـرادات التى تحـصلها سنغـافورة من السـفن المارة ومن التـجارة ما يـفوق أى
اء إنجليزى آخر فى المنطقة، وهو مـا دفع رافلز بعد خمس سنوات إلى توقيع
ـاقيـات جـديدة مع السلطان ومع الهـولنديين ـ الذين كانوا يسـيطرون على
ـب المستـعمرات فى المنطقـة ويعارضون الـوجود البريطاني فى سنغـافورة-
ـلت بمقـتضاهما سنغـافورة إلى مسـتعمرة إنجليزية خـالصة لا سلطة لسلطان
هور عليها . وتحولـت سنغـافورة إلى أهـم نقطة فى مثلـث المحطات التجارية
نجليزية فى المنطقـة (بينانج - ملقا- سنغـافورة) وهى التى كان يطلق عليـها
هذا الوقت تعبير "مستعمرات المضايق" .

ثم شهدت سنغافورة تطورا كبيرا بافتتاح قناة السويس ،وما شكلته من فتح
فى عـالم النقل البحرى بين الشرق والغرب خـاصة عندما تزامن ذلك مع

ظهور السفن البخارية ، فاستفادت سنغافورة من كل ذلك وتوسع ميناءها بشكل كبير، وفى خلال سنوات قليلة إستفادت سنغافورة من تطور جديد وهو اتساع صناعة استخلاص وتجارة المطاط حيث أصبحت سنغافورة بفضل الإنجليز وبفضل التجار الشطار أكبر مركز فى العالم لتصدير المطاط المستخلص من أشجار دول المنطقة،و لأن سرد التاريخ دون التعليق عليه لا يضيف للقارىء الكثير ، فاسمحوا لى أن أتوقف هنا قليلا للتعليق على السطور السابقة والتى كانت البداية الحقيقية لقصة نجاح سنغافورة ، فكل ما يحكى عن تحويل سنغافورة على يد ستامفورد رافلز من مجرد جزيرة للصيادين ،شأنها شأن الآلاف من الجزر فى منطقة جنوب شرق آسيا ،إلى ميناء ومحطة تجارية للإمبراطورية البريطانية هو أمر تحقق فى الواقع للعديد من الموانى فى مختلف أنحاء العالم سواء فى جنوب شرق آسيا أو فى الشرق الأوسط أو أفريقيا ، ففى ذلك الزمن ، كان هذا الأسلوب أحد أهم الأساليب التى استخدمتها الإمبراطورية البريطانية للسيطرة على بلدان وشعوب كثيرة ، إلا أننا لا نستطيع القول بأن كل تلك البقاع حققت لنفسها المستقبل الذى حققته سنغافورة ، وقد يرجع ذلك لأسباب كثيرة ،أهمها أن المستعمر لم يأت فقط بفكرة جديدة لاستغلال سنغافورة كميناء يربط بين الشرق والغرب ، بل أتى أيضا بمهاجرين أغراب عن تلك المنطقة ، هربوا من أوضاع صعبة في بلدهم الأصلي (الصين) وجاءوا ليجربوا فرصة ثانية وأخيرة فى جزيرة بعيدة عن بلادهم المزدحمة، وعندما يجرب الإنسان فرصة أخيرة فهو لاشك يبذل أقصى ما عنده من جهد ويخرج أقوى ما لديه من طاقات فهى مرة أخيرة يكون بها أو لا يكون، وتلك التجربة التى بنت يوما أقوى بلد فى العالم وهو الولايات المتحدة، تكررت بشكل آخر وعلى نطاق أصغر هنا فى سنغافورة على يد المهاجرين الصينيين الذين بدأ ستامفورد فى جلبهم مع بدايات القرن التاسع عشر، ثم

إستمر قدومهم حتى القرن العشرين ليغيروا التركيبة السكانية لتلك الجزيرة التى كان عدد سكانها فى الأصل لا يتجاوز بضعة الآف،إلا أن تغيير التركيبة السكانية هنا لم يكن على النحو الذى حدث فى أمريكا الشمالية قديما ،وليس على النحو الذى قامت وتقوم به دولة كإسرائيل ، فلم تكن هناك معارك إبادة أو مجازر بل لم تسفك قطرة دماء واحدة لهذا الغرض ، وإنما كانت المعادلة من أولها معادلة إقتصاد .. عمل وجد ومكسب يبنى ثروة، والثروة تعنى القوة بكل معانيها والبقاء لا شك للاصلح، وأخذ المهاجرون فكرة التجارة وعاشوا عليها وطوروها وما زالوا يطورونها حتى اليوم حتى أصبحوا جديرين بأن يكونوا هم أصحاب الأرض والمكان ، وتلك سنة الله فى خلقه أن الأرض ملك من يعمرها ، وسنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى عند شرح قضية الأعراق والأديان فى سنغافورة وكيف استطاعت الحكومة الوصول إلى صيغة عبقرية للحفاظ على الوحدة الوطنية فى جزيرة لا تتحمل أى اضطرابات من أى نوع، وعودة إلى التاريخ ، فإننا نجد أن عجلة التطور ما لبث أن دارت مع قدوم الثروة ،وسرعان ما بدأت مظاهر الحياة الغربية تظهر على الطرق الجديدة التى شقت بين غابات الأشجار مع مطلع القرن العشرين ،وظهر معها وجوه مهاجرين جدد جاءوا أساسا من جنوب الصين ومن الهند وراء حلم الثراء (الذى غالبا ماتحقق لهم ولأحفادهم بالفعل) فى هذه الجزيرة (السحرية) المليئة بالأساطير الخيالية ،وأيضا بفرص الغنى الواقعية، ويكفى للدلالة على حجم الرواج الذى شهدته سنغافورة فى هذه الفترة أن نقول أن حجم التجارة قد تضاعف خلال الأربعين عاما فى الفترة من ١٨٧٣ إلى ١٩١٣ثمانية أضعاف وزاد معها عدد المهاجرين الصينيين بشكل كبير ،ويعتقد بأن الإنجليز هم الذين شجعوا الهجرة الصينية إلى سنغافورة كمحاولة لتغيير التركيبة السكانية

للجزيرة وملئها بالمهاجرين الذين رأى الاستعمار أنهم لن يطالبوا بالاستقلال يوما ما ،بل سيتمسكون بالاستعمار الأجنبي الذى يحميهم ويضفى على وجودهم الشرعية ، وبغض النظر عن صحة هذا الفرض ، فقد تحولت سنغافورة واقعيا فى العقود التالية إلى جزيرة يقطنها أغلبية من الصينيين ،بينما إنخفض بشكل تدريجى عدد ونسبة السكان الأصليين من الملاى المسلمين والذين كان تعدادهم فى الأصل قليلاً ، وعندما اجتاحت اليابان جنوب شرق آسيا ،بما فى ذلك سنغافورة عام ١٩٤١ فى غمار الحرب العالمية الثانية ،توقف النشاط والتجارة تقريبا وأطلق اليابانيون على سنغافورة إسم " سيونان " أو ضوء الجنوب ،وظلت سنغافورة تحت الحكم اليابانى ثلاث سنوات ونصف ،ما زال السنغافوريين يذكرونها بكل أسى ، عاد بعدها الإنجليز ليبدأوا عهدا جديدا فى سنغافورة يختلف عما سبق على الحرب ، فقد أصبح التجار قوة سياسية لها كلمة وظهر لسنغافورة مجلس نيابى ،وجرت أول إنتخابات نيابية فى سنغافورة عام ١٩٤٨ ومنذ ذلك الوقت لم تنفصل السياسة عن الاقتصاد ،بل وأمسك الاقتصاد بمقود السياسة فى سنغافورة منذ ذلك التاريخ و حتى اليوم.

وفى أواخر الأربعينات وحتى نهاية الخمسينات ،شهدت سنغافورة محاولات مستميتة من تنظيمات شيوعية للاستيلاء على الحكم لتدخل سنغافورة ،عن دون قصد ،حلبة الحرب الباردة والتى أحاط أتونها بمنطقة شرق آسيا ككل وبلغت ذروتها فى كوريا وفيتنام ولاوس وغيرها.

الأمريكيون قادمون :

ومادامت الشيوعية قد شقت طريقها الى سنغافورة ، فقد كان من البديهى أن يصل معها الأمريكان الذين لم يتركوا فى هذا الزمن بقعة دقت الشيوعية أبوابها إلا وحاولوا اقتحامها وجعلوها حلبة مواجهة مع الخطر الشيوعى ، وفى سنغافورة كانت هناك جولة للشيوعية التى حاولت خلال الخمسينات وقبل

الاستقلال ، التهام سنغافورة من خلال الأسلوب التقليدى المتمثل فى السيطرة على اتحادات العمال والطلبة كخطوة أولى ، وبعد معركة طويلة لم تجد الشيوعية تربة خصبة فى سنغافورة فالحكم القائم المتمثل فى الحكم البريطانى رأسمالى بطبعه ،وكذلك أغلب السكان من التجار ، أما الطبقة العاملة فهى ضئيلة ولا تملك مقومات الضغط من أى نوع بالاضافة الى أن الزراعة لا وجود لها تقريبا ، والفوارق بين الطبقات مقبولة فى ضوء أن أغلب السكان من المهاجرين الذين يقبلون فى البداية بالكفاف انتظارا لفرصة تنقلهم الى حياة أفضل كما حدث لغيرهم من قبلهم ، وبالتالى فإن الشيوعيين السنغافوريين على الرغم من وجود قوى خارجية فى ذلك الوقت تساعدهم وتؤيدهم كالصين لم يتمكنوا من الفوز بسنغافورة التى كانت الرأسمالية قد فازت بها قلبا وقالبا حتى قبل أن تظهر الشيوعية على خريطة العالم عام ١٩١٧ ، وكان الوجود الأمريكي فى سنغافورة من الأمور الضرورية ،تماما كما كان ضروريا فى عشرات البقاع الأخرى فى العالم التى كان الاحتلال البريطانى يوشك أن يحمل عصاه ويرحل عنها ،وقد أدركت الولايات المتحدة مبكرا، وقبل أن تضع الحرب العالمية أوزارها الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية الكبيرة لسنغافورة التى بدت وما زالت أمام صانعي السياسة الخارجية الأمريكية ،نقطة ارتكاز تتوسط محيط إسلامي يتمثل فى ماليزيا وإندونيسيا ، والأخيرة هى بالطبع أكبر الدول الإسلامية عددا فى العالم، ومن ناحية أخرى فإن سنغافورة تشرف على مدخل ممر ملاحى من أهم الممرات البحرية فى العالم وهو مضيق ملقا الذى بدونه لا يتصل الشرق بالغرب فى هذا المكان من العالم وهو ما يجعل الكثيرين يلقبون هذا المضيق بأنه قناة السويس الآسيوية وهو تشبيه لا شك فى صحته رغم تفوق قناة السويس فى أهميتها بالطبع على المستوى العالمى .

والناظر إلى خريطة العالم لا يخطىء بالطبع حقيقة جغرافية هامة وهى أن قناة السويس لهـا ذراعان يكملان أهميتها وبدونهما تقل أهمية قناة السويس نفسها بشكل كبير وهما قناة بنما غربا ومضيق ملقا شرقا ، فبدون هذين الممرين تقتصر أهمية قناة السويس على الوصل بين آسيا حتى الهند فقط والأمريكتين حتى ساحلها الغربى فقط بالاضافة الى ما تصله بين الشمال والجنوب .

كل ذلك يؤكد دون شك الأهمية الكبيرة لمضيق ملقا الذي يعد مفتاح الأهمية الاستراتيجية لسنغافورة وهى أهمية تاريخية أدركها الأقدمون ، وإستفادوا منها ، ثم إستفاد منها السنغافوريون المعاصرون بشكل أكبر وأوسع سيذكره التاريخ فى المستقبل.

نلعن الاستعمار أم نذكره بالخير؟؟

وما دمنا فى قراءتنا لكتاب التاريخ نتحدث عن الاستعمار بوصفه جزءا من تاريخ سنغافورة كما كان جزءا من تاريخنا ، فإن من الأحرى بنا التوقف أمام ظاهرة تستحق التأمل خاصة من جانبنا نحن العرب الذين حاربنا الاستعمار ولعناه فى كل مكان ،من المؤتمرات الدولية وحتى الكتب المدرسية، هل نلعن الاستعمار أم نذكره بالخير ؟؟.. إذا تجرأ أحد فى بلادنا العربية وسأل هذا السؤال فسيكون نصيبه وافرا ووافيا من الهجوم والانتقاد ، ربما لأن فظائع الاستعمار فى بلادنا العريقة وما ألحقه بنا من مهانة واستغلال وخسائر على كافة الأصعدة ،كان أمرا غير مقبول وسيظل مرفوضا حتى من الأجيال التى لم تشهد الاستعمار ولم تذق طعمه، إلا أن للاستعمار وجها آخر فى بقاع أخرى - نادرة دون شك - من العالم لم تقم لها حضارة فى سالف الزمان ،ولم تفقد مجدا بقدوم الاستعمار إليها، بل أن الاستعمار هو الذى أشعل شرارة المجد لتلك البقاع و أظهرها الى النور فكان حقا عليها أن تذكره بالعرفان والتقدير .

وسنغافورة من الأماكن التى ينطبق عليها هذا الوصف ،فقبل رافلز كانت سنغافورة مجرد جزيرة لا تختلف عن الآلاف من الجزر الصغيرة التى تعج بها المنطقة والتى ما زال المسافر يراها على مقربة من سنغافورة فى المسافة المكانية، وعلى بعد ربما مئات السنين فى مسافة الحضارة والتقدم ،بل إن بعض تلك الجزر ليس مسكونا بالمرة إلا بالزواحف وبعض الحيوانات و نخيل الجوز، وعلى الرغم من أن سنغافورة قد فاوضت الإنجليز على الاستقلال ، فإنها كانت مفاوضات تتمثل فى كيفية تحقيق الاستقلال وليس فى حدوث الاستقلال من عدمه بمعنى أنه مع حلول أوائل الستينات كان واضحا أن الاستعمار البريطانى قد إختار الرحيل ، وبدا الأمر لامفر منه للبريطانيين وللسنغافوريين أيضا ،وأن على المستعمرات أن تعمل وبسرعة على التفاوض على الوضع الذى ستكون عليه عقب الاستقلال ،وهل ستنضم لكيان آخر أكبر أم سيتم تجزئتها - فى حالة الدول الكبيرة - إلى غير ذلك من تفاصيل المستقبل السياسى للمستعمرات التى لم تعرف طريقها للحياة الحديثة إلا من خلال ما لقنه لها الاستعمار الغربى، وفى سنغافورة فإن طبيعة المجتمع الذى يتشكل فى أغلبه من مهاجرين فرضت درجة عالية من التفتح ،ومن تقبل الوجود الأجنبي ،سواء فى شكل مهاجرين أو فى شكل استعمار خارجى يستفيد من الجزيرة ويفيدها من خلال فرض حمايته القوية عليها ضد أطماع الطامعين، وقد إنعكست هذه الحقيقة التاريخية لدور الاستعمار فى سنغافورة فى شكل تقدير لكل ما يتعلق بالاستعمار البريطانى ،ويمكنك أن ترى ذلك فى المتاحف والمبانى الأثرية وأسماء شخصيات الاستعمار البريطانى شوارع مدينة سنغافورة ومبانيها ومراكزها التجارية ، وعلى سبيل المثال فإن اسم ستامفورد رافلز يطلق على أهم مبانى وشوارع منطقة وسط المدينة.

بل أن العديد من النظم بما فيها من نظام التعليم إلى نظام تخطيط الشوارع ونظام قيادة السيارات البريطاني كلها ما زال معمولا بها في سنغافورة مما يدل بشكل واضح على أن وجود الإنجليز كان محلا للتقدير ،وأن رحيلهم كان وسط مشاعر الأسى غير المعلن ،وهو ما تثبته لوحة كبيرة وضعت على مدخل أحد المتاحف السنغافورية تصور لي كوان يو رئيس وزراء سنغافورة ،وهو يصافح رئيس وزراء بريطانيا وعينه تملأها الحزن والقلق لقرار الحكومة البريطانية الجلاء عن سنغافورة ، وتحت الصورة تصريح لرئيس الوزراء البريطاني يقول فيه لقد طلبوا منا البقاء (يقصد السنغافوريين) ولكننا شرحنا لهم أننا لا يمكننا البقاء أكثر من ذلك ،وأننا سنكون جاهزين دائما لمساعدتهم عندما يطلبون منا ذلك وبالشكل الذى تسمح لنا به الظروف، وأعتقد أن اعتماد اللغة الانجليزية كلغة رسمية لسنغافورة منذ وقت مبكر كان دليلا آخر على عدم وجود أى حساسية ضد الاستعمار البريطاني بل كانت لفتة تقدير وعرفان له، وهو الاتجاه الذى يصعب علينا فى مشرقنا العربى تفهمه بالطبع بعد أن قضى آباؤنا وأجدادنا حياتهم يحاربون الاستعمار ويبغضونه.

الحكم الماليزى والاستقلال:

ظلت سنغافورة سياسيا جزءا من ماليزيا لعصور طويلة ، والناظر إلى الخريطة الطبيعية للمنطقة لا يمكنه أن يتخيل أن تلك الجزيرة الصغيرة تعد كيانا سياسيا منفصلا عن ماليزيا التى تحتضن سنغافورة من الشمال ،وتفصلها عنها مضيق عرضه - فى أضيق مناطقه- لا يزيد على كيلو مترين تقريبا. وعندما جاء الاستعمار البريطاني أضفى نوعا من التميز على سنغافورة التى ما لبثت أن أصبحت أكثر ثراء من ماليزيا ، وقبل أن يرحل الاستعمار شهدت سنغافورة انتخابات عامة وواسعة النطاق نسبيا عام ١٩٥٥ وخاضتها أحزاب كانت لا تزال

فى مهدها السياسى من بينها حزب عمل الشعب People 's Action Party الذى يحكم سنغافورة حتى اليوم ،وان كان وقتها لم يفز سوى بعدد قليل من المقاعد فى البرلمان وأصبح ديفيد مارشال (يهودى) هو أول كبير للوزراء لسنغافورة.

إلا أن أول انتخابات عامة حقيقية فى تاريخ سنغافورة جاءت عام ١٩٥٩ ،وفاز فيها حزب PAP بأغلبية المقاعد بعدما تحالف مع الحزب الشيوعى السنغافورى ،إلا أن الواقع كان يؤكد أن هناك خلافا محوريا فى المبادىء استحال معه استمرار التحالف بين الجانبين، وكان سهلا على الزعيم الشاب لحزب PAP وأول رئيس لوزراء سنغافورة "لى كوان يو" أن يقلب الطاولة على الشيوعيين وينفرد حزبه بحكم سنغافورة منذ عام ١٩٦١ وحتى اليوم .

ولى كوان يو قصة طويلة إذ لا يمكن الحديث عن سنغافورة دون أن نتحدث عن الرجل الوحيد الذى يستحق لقب أبى سنغافورة الحديثة .

فهذا الرجل الذى تخطى الثمانين من عمره الآن هو الذى قاد بلاده من العالم الثالث الى العالم الاول فى عقدين من الزمان أو نحو ذلك ، وهو الذى صمم على حمايتها ضد العديد من الأخطار التى هددتها ،وأصر على محاربة الفساد وعدم الاستجابة لإغراءاته وجعل نفسه قدوة فى كل ما ينفع بلاده ، ثم تنازل عن الحكم عام ١٩٩١ الى جو تشوك تونج وبقى دوره استشاريا فى مجلس الوزراء ثم تولى إبنه الحكم وبقى هو فى وضعه الاستشارى يرشد ولا يحكم ليحظى باحترام الجميع ليس فى بلاده فقط بل على مستوى العالم ككل.

فى عام ١٩٦٢ أصبحت سنغافورة إقليما من أقاليم الاتحاد الماليزى ،ليكون لها حكما ذاتيا مستقلا مع الإبقاء على التبعية فى شئون الدفاع والسياسة الخارجية لماليزيا ، ولكن الوضع لم يستمر طويلا حيث وجدت سنغافورة أن

من صالحها أن تتعامل مع العالم كدولة مستقلة لها شخصيته المنفصلة عن ماليزيا ،ومرة أخرى أدار لى كوان يو عملية الانفصال أو الاستقلال عن ماليزيا ببراعة إلى أن تمت بسلام في ٨ أغسطس عام ١٩٦٥ وهو اليوم الذى أصبح عيداً لاستقلال لسنغافورة، وأصبح يوسف بن عشاق المالاوى المسلم أول رئيس جمهورية لسنغافورة ولى كوان يو رئيس وزرائها والحاكم الفعلى لها كشأن أى نظام برلمانى ، ولتبدأ بعد ذلك قصة سنغافورة الحديثة التى نراها فى يومنا الحاضر.

سنغافورة الحديثة:

يمكننا أن نسرد الكثير عن الأحداث التى مرت بها سنغافورة خلال الستينات والسبعينات وصدامات محدودة بين المسلمين وغير المسلمين ثم الحرب ضد الشيوعيين أو بقاياهم ، إلا أننى وجدت أن كل ذلك قد لا يهم القارىء كثيرا لسببين : الأول هو أن تلك الأحداث التاريخية لم يكن لها حجم كبير أو تأثير ممتد ،والسبب الثانى هو أننى لا أريد لقارىء هذا الكتاب أن يشعر بأننى قد حشوت وقته بما قد لا يهم قارىء العربية كثيرا من أحداث وشخصيات ذهب زمانها، وفضلت أن أركز على نتاج التجربة التاريخية وما أفضت إليه فى غضون ثلاثين عاما فقط من نجاح هائل ، وأن أبحث مع القارىء فى أسباب هذا النجاح ومقوماته، ويمكن تلخيص تاريخ سنغافورة الحديثة فى أنه مسيرة متواصلة من النجاح -لاشك فى قوة ما واجهها من عقبات- وهو نجاح اعتمد على فهم دقيق وواع لطبيعة سنغافورة وحجمها وقدراتها ،وفهم مماثل للمنطقة من حولها ثم سياسة براجماتية عملية تصل أحيانا إلى حد الميكافيللية فى التعامل مع الأشياء .

وهنا تكمن أهمية شخصية لى كوان يو الذى صاغ وترجم تلك السياسات

والرؤى ، فقـد رأى -وأقنع كل من حوله - بأن سنغـافورة دولة مصـنوعة وليسـت أصيلة وأن مـواردها الطبيعية لا تسـمح لها بأن تستمر ككيان مـستقل، وبالتـالى فإن استـقلال سنغـافورة ولد عـام ١٩٦٥ مهـددا بالموت فى أية لحظة، وكان لا بد من منهج فريد وجـرىء يصون لسنغافورة استقلالـها وأيضا ثروتها التى كـانت مـهـددة فى مـرحلة مـا بالذوبان فى الثـروة الماليـزية عندمـا كـانت سنغافورة جزءا من الاتحاد الماليزى ، وكان الحل أو المنهج الوحيد من وجهة نظر لى كوان يو وقـيادات سنغافورة هو أن تدار الـدولة والشعب والثروة والسيـاسة الخارجيـة والداخلية بمنطق المؤسسات التجـارية الكبرى وليس بأى منطق آخر ، فالربح والخسارة همـا المعيار لكل شىء وعلى الجميع أن يعيـشوا حياتهم بمنطق رجل الأعـمـال ولا صـوت يعلو فـوق صـوت التـجـارة والشطارة فى إدارة الأعـمال، والإيديولوجـيـة الوطنية هـى ضرورة الانتـاج بأقـصى قدرة تملكهـا المؤسـسـات السـنغافـورية بل وكل فـرد فى الدولة ثم تصـدير كل ذلك للعـالم الخارجى ثم البدء فى الاستيراد مما لدى الدول المجـاورة لا ليتم استهلاكه داخليا بل ليـتم تـصـديره أيضـا هو الآخـر إلى دول أخـرى ، وبذلـك تحـول التـاجـر السنغافـورى إلى أمهر تجـار المنطقة كلها رغم أن بلده لا تـنتج إلا القليل وكان ضروريا أيضا أن يتم تكويـن قاعدة تكنولوجية ترفع من قـدرة المؤسسات على الإنتاج، وكـان التفـوق التكنولوجى -وما زال- بطاقـة هوية لسنغـافورة وسط دول المنطقـة التى تتـفـوق عليـها بمراحل فى الموارد الطبـيعـيـة وعـدد السكان والأهمية السياسية .

العلاقات الخارجية:

وإذا كـان الحديث عـن التاريخ يقـودنا للحـديث عن السـيـاسة ، وإذا كـانت السيـاسة فى سنغافـورة فى خدمة الاقتـصاد ، فقـد يكون من المفيد أن نختـتم هذا

الفصل بالحديث عن العلاقـات الخارجية لسنغافورة والتى تقدم نموذجـا مختلفا تماما من نماذج إدارة العلاقات الخارجية للدولة عما نعرفه فى شرقنا الاوسط وأيضا فى أوروبا ، وهو ما كان لافتا لنظرى بشدة بحكم تخصصى وعملى فى هذا المجال.

فسنغافورة دولة تتـمتع بعلاقات طيبة مع الجمـيع ولا توجد لديها فى شبكة علاقـاتها الخـارجيـة أية نقطة سلبيـة فى شكل صدام أو صـراع مع أى دولة فى العـالم ، ويمكن القول بأن ذلك كـان نتيـجـة لعقـود إهتمت فـيهـا تلك الدولة الصـغيـرة ببناء علاقـات تعاون إقـتـصادى مع الدول الاخـرى و . الهـوية الاقتصـادية المتميزة لسنـغافورة دائما بمثـابة أوراق إعتماد لها لـدى كافة الدول ومن خلالها رحب الجميع بالتـعاون مع تلك الدولة أو على الاقل إكتفى بالنظر إليهـا بكل احتـرام وتقدير، وفى الـغالـب فإن الخـلافات الجـسيـمة أو عـلاقات التعاون الوثيق تظهـر فى العادة بين الدول المتجاورة ، ومن المعـروف أن مشاكل الحدود على سبيل المثال كانت ولا تزال موطن خلاف ومثار مشكلات قد تكون كبيرة للغاية بين الدول المـتجاورة ، ومن هنا إخـترت فى معـرض الحديث عن السياسـة الخارجية لسنغافـورة تناول علاقاتها بماليزيا التى كـانت يوما ما الدولة الام لسنغافورة قبل الاستقلال عام ١٩٦٥ .

فى الماضى القريب كـان العنصر الحاسم لقضـية الاستقلال السـنغافورى عن ماليزيا والضامن لاستـمرارية هذا الاستقلال هو العنصـر الاقتصادي ،فلم تكن هنالك حروب أو صدامات دموية بينهمـا بل كان ولايزال هناك تنافس اقتصادي محمـوم أفاد الجميع ، و العـلاقات الـخاصة جـدا بين سنغافورة ومالـيزيا ، كانت حافزا للطرفين على تحقـيق المزيد من التقدم الاقتصادى حـتى أصبحت الـدولتان أكثـر دول الآسيان العشـر من حيث ديناميـكية النمو الاقتـصادى وأيضا التـقدم العلمى ، وأذكـر فى هذا أنه فى أحـد الأسابيع من شـهر مـايو عام ٢٠٠٢ كـان

المسئولون من الجانبين يتبادلون الاتهامات بالابتزاز والاستغلال حول قضايا معلقة بين الجانبين أهمها قضية سعر المياه الخام التى تبيعها ماليزيا لسنغافورة وتوصلها عن طريق أنابيب تمر عبر المضيق الفاصل بين الجانبين ثم تقوم سنغافورة بتنقيتها واستخدام جزء منها وبيع الباقى مرة أخرى لماليزيا بعد تنقيته.

كذلك قضية قيام سنغافورة بردم جزء من البحر المحاذى لشواطئها الشرقية لتوسيع رقعة أراضيها وتضرر ماليزيا لأنها ترى فى ذلك تضييقا للممر الملاحى الخاص بالسفن المارة بالمضيق الذى يسمى مضيق جوهور ،وبلغت الاتهامات المتبادلة حد اتهام وزير الخارجية السنغافورى ماليزيا بأنها تريد المساس باستقلال سنغافورة واتهام ماليزيا فى المقابل لسنغافورة بأن الأخيرة تريد استنزاف الموارد الطبيعية لماليزيا والإضرار بالمكانة الصاعدة لميناء ماليزي جديد يسمى اختصارا PTP لأن هذا الميناء بدأ فى اجتذاب السفن وشركات الملاحة من الميناء السنغافورى ، وفى نفس الأسبوع الذى كانت فيه الأزمة تزداد سخونة كان وزيرا التجارة والصناعة فى البلدين يدشنان مشروعات مشتركة تبلغ قيمتها عشرات الملايين من الدولارات ويوقعان المزيد من الاتفاقات للتعاون الاقتصادي ويصطحبان وفود من رجال الأعمال لتوقيع عشرات الصفقات الجديدة ، بينما كانت القوات البحرية من الدولتين تقومان بمناورات مشتركة فى البحر ، وكان وزيرا الداخلية من البلدين يجتمعان للاتفاق على إجراءات أمنية جديدة للقبض على الإرهابيين فى البلدين وتضييق الخناق عليهم ،وفى الشهر التالى قام الرئيس السنغافورى رما ناتان بمنح وسام رفيع لقائد عسكرى ماليزي كبير تقديرا لما بذله من جهود فى دفع التعاون العسكرى المشترك بين البلدين !!

واستكمالا للطرافة ، أو التفكير العملى إن أردنا قول ذلك ، فإن التهديدات المتبادلة بين الجانبين حول القضايا السابقة كانت أيضا اقتصادية الطابع حيث

هدد نواب برلمانيون أنهم سوف يطلبون من المواطنين السنغافوريين عدم الذهاب لشراء بضائعهم من ولاية جوهور الماليزية التى تتميز برخص أسعارها عن سنغافورة ،وهدد الماليزيون فى المقابل بأنهم سيشنون حملة لتقليل عدد السياح الماليزيين لسنغافورة ، وهكذا فإن الخلاف السياسى لايفسد لود التعاون الاقتصادى قضية ، فكما وأن من حق الجميع أن يتنفسوا فمن حق الجميع أن يعملوا يكسبوا ويتنافسوا ، والتعاون الاقتصادى كان ولا يزال الضامن الأساسي لكيلا تتفاقم الخلافات السياسية وتتحول لمشكلات أكبر أو حتى حروب.

نفس الأمر تكرر مع الصين عندما تفجرت أزمة بين سنغافورة والصين عام ٢٠٠٤ بسبب زيارة لى سيان لونج نائب رئيس الوزراء السنغافورى وقتها الى تايوان وهو ما فجر غضبا شديدا كالعادة فى بكين خاصة مع ما كانت تمر به الازمة بين الصين وتايوان من فترة عصيبة ، الا ان تلك الازمة ما لبثت أن تبخرت وهدأت العاصفة ، بفضل المصالح الاقتصادية البالغة الضخامة بين الجانبين وعشرات المليارات والمشروعات السنغافورية الضخمة فى الصين ..

إن نظرية حماية الأمن القومى للدول من خلال تشعب علاقاتها الاقتصادية مع أكبر عدد من الدول نظرية جديرة بالتأمل والدراسة، وعلى الرغم من أنه ليست كل دول العالم متطابقة من حيث ظروفها السياسية والجغرافية وطبيعة مشكلاتها التاريخية والسياسية ، إلا أن معطيات عالم اليوم قد أضحت تعطى أهمية أكبر فأكبر للمكانة الاقتصادية كأحد أهم وسائل حماية الامن القومى للدول ، وعلى مر التاريخ كانت القوة المسلحة -وستبقى- عنصرا حاسما فى حماية الامن القومى للدول وكذلك الحجم السكانى والشكل والامتداد والحجم الجغرافى ، كلها عوامل لا يمكن لدولة أن ترسم سياستها فى صيانة أمنها القومى بمعزل عنها .

إلا أن القوة الاقتصادية تثبت بشكل متزايد تصاعد أهميتها فى حماية الأمن القومى للدول ، فسنغافورة دولة صغيرة بكل المقاييس تضمن أمنها ليس فقط بجيشها المتفوق كيفا أكثر منه كما ، أو من خلال علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة ، ولكنها تضمن أمنها بالدرجة الأولى من خلال علاقاتها الاقتصادية المكثفة بالعشرات من دول العالم القريبة والبعيدة التى تستودع تلك الجزيرة الصغيرة مصالحها وأموالها ،وبالتالى فإن أى تهديد لسنغافورة سيجد مواجهة صارمة من عشرات الدول التى لا تتحمل إلقاء حجر على تلك الجزيرة الممتلئة بمصالح الشرق والغرب ، وأول تلك الدول هى ماليزيا نفسها التى تحتفظ بمصالح اقتصادية لا حصر لها فى سنغافورة .

الفصل الثالث:

الاقتصاد أولا :

لا تحتاج عزيزى القارىء أن أحكى لك عن دول أفنت حياتها وحياة أبنائها وراء قضايا سياسية كانت في نهاية المطاف- شعارات أكثر منها حقائق وأضرت بها مصالحها واقتصادها ضررا جسيما ،وتركت أبناءها فى فقر مدقع من جراء الحروب والنزاعات الداخلية والخارجية وأحيانا الحروب الأهلية التى أتت على الأخضر واليابس ،ولم تترك للأجيال الجديدة سوى الفقر ومشكلاته ،وكتاب تاريخ صغير يشرح لتلك الأجيال معارك الآباء وكأنه يشرح سبب الفقر والمشكلات الحالية ،والأمثلة كثيرة فى أوروبا وأفريقيا وآسيا .

وفى الوقت الذى يعد الكفاح فيه فرض عين على الجميع فى حالات معينة كإجلاء المستعمر أو تحرير الأرض المغتصبة ، فإن هناك حالات أخرى كثيرة تُفتعل فيها الحرب إفتعالا ولا يكون لها سبب وجيه ،وفى كل الأحوال يدفع الفقراء الثمن بينما ينعم متخذى القرار إما بالنصر الذى يسجل باسمهم فى صحف التاريخ ،أو يجدون مبرر الهزيمة جاهزا لديهم حتى يعيدوا شحن شعوبهم من أجل استئناف القتال وفقدان المزيد من الأرواح والأموال، والأجيال الجديدة فى تلك الدول يسألون وقد يحق لهم السؤال- أسئلة عديدة ربما تصعب إجابتها وهى من قبيل :لماذا لم يكن كفاح الآباء من أجل تحقيق حياة أفضل لنا والتركيز على تنمية اقتصادية حقيقية توفر لنا مستقبل أفضل ، ولماذا ندفع بعد عشرات السنين -ثمن عواقب قرار متسرع لقادة ربما كانوا يرجون لأنفسهم مجدا شخصيا دون أن يفكروا فيمن سيأتون بعدهم من أبناء وأحفاد .

ولا أريد هنا أن أكرر مقالة من يقولون لعن الله السياسة فكم يتمت وكم أثكلت ورملت وكم أغلقت بيوتا مفتوحة وهدمت صروحا شامخة ..الخ، ذلك أن ليست كل الدماء التى أهدرت ذهبت سدى وأنه فى حالات كثيرة لولا الكفاح والنضال لكان الحاضر فى العديد من الدول أسوأ مما هو عليه .

لكن فى نهاية المطاف فإن الشعوب التى عانت الحروب ليست كالشعوب التى لم تعانى منها ،والفارق كبير يتضح لنا جليا عندما نرى شعوبا أنعم الله عليها بالاستقرار عقودا أو ربما قرونا متواصلة ،وأنعم عليها أيضا بقيادات استطاعت استغلال كل الموارد وكل الفرص وأعطت الثمار للشعب وليس لأحد آخر، ومن بين تلك البلاد سنغافورة ، التى لم تضيع كثيرا وقتها ووقت شعبها فى السياسة البحتة بل كانت الظروف مهيأة ?أو ربما تمت تهيئتها- منذ البداية للتفرغ للعمل والإنتاج والكسب وتكوين الثروة ، أما السياسة فلها من يشغل وقته بها "كأكل عيش" خاص به ،ووظيفتها الوحيدة هى أن تكون إطارا لحماية النشاط الاقتصادى فى كل صوره وتوفير أفضل الظروف له وبخلاف ذلك فليس لها قيمة أخرى تذكر.

حديث الصباح والمساء:

التجارة والاستثمار وكم كسبت وكم أنفقت وكم ادخرت ومؤشرات البورصة وأسعار الأسهم و مشروعات المستقبل هى حديث الصباح والمساء وكلام الإفطار والعشاء فى البيوت السنغافورية ، فلا تجد أحدا يهوى الحديث فى السياسة إلا فيما ندر وإن تحدث فيها فهو يتحدث أيضا من منظور اقتصادي، وأذكر جلسة جمعتنى ببعض الأصدقاء والجيران السنغافوريين فى منزل أحدهم ،وكنت الأجنبي الوحيد بينهم ، وكانوا يتحدثون عن مجمع سكنى جديد إفتتح للبيع مؤخرا ،وكان أحدهم يفكر فى شراء شقة فيه

واستغرق الجميع فى الحديث عن الجدوى الاقتصادية للفكرة والبدائل المتاحة ،وكنت الوحيد الذى لا يتكلم وكان السبب واضحا على الاقل بالنسبة لى وهو أن القوات الامريكية والبريطانية كانت فى ذلك الوقت على وشك البدء وفى خلال ساعات فى غزو العراق وكان الوضع فى المنطقة العربية بل وفى مناطق كثيرة من العالم يغلى بمعنى الكلمة ، وتخيلت أنه لا يوجد من لا يتحدث عن المشكلة العراقية فى العالم كله ،وأن الجميع مأخوذين مثلى بما يحدث فى الشرق الأوسط ولكن يبدو أننى كنت فى كوكب آخر مع أشخاص لا يسمعون عن قضايانا، وبعد أن لاحظوا صمتى غير المعتاد ،حيث كنت من قبل فى مثل تلك الجلسات أكثر المتحدثين بل ومقترح موضوعات الحديث ، قرر أحدهم مجاملتى والبدء فى الحديث عن الوضع فى العراق ،فبادرنى بسؤال عن المظاهرات التى كانت تجتاح العواصم العربية اعتراضا على التحرك العسكرى الغربى ضد العراق ، وبعد رد مقتضب من جانبى لم يحمل جديدا بالطبع لمن هو مثلى كعربى ومهتم بالسياسة ، وجدت واحدا من الحاضرين يلتقط طرف الحديث ليتحدث عن تأثير الحرب فى العراق وكان الجميع يعتقد أنها ستكون طويلة وممتدة على أسعار البترول وبالتالى على صناعات البتروكيماويات السنغافورية وبالتالى على أسعار الأسهم التى يمتلكها هو فى إحدى تلك الشركات !

ثم بدأ آخر بالحديث عن تأثير الحرب على حركة الملاحة البحرية من سنغافورة إلى دول الخليج والتى تعد من أكبر الاسواق التى تصدر سنغافورة اليها الإلكترونيات ،وببراعة منقطعة النظير قام بحساب سريع وخاطف لكمية الخسائر التى يمكن أن تصاب بها شركة إلكترونيات كبيرة فى سنغافورة يعمل بها أخيه وبالتالى ستتأثر الأرباح السنوية التى سيصرفها أخيه من الشركة فى

نهاية العام مما سيؤدى لتأجيلهم لمشروع كانا يعتزمان القيام به لشراء قطعة أرض كبيرة فى ولاية جوهور فى ماليزيا ! !

وهكذا فإن المنظور الاقتصادى هو العامل الغالب والمسيطر على عقل وقلب الناس في سنغافورة ، ويصعب عليك بالفعل أن تدفعهم للتفكير فى إحدى القضايا من منظور سياسى " عاطفى " بحت على نحو ما يقوم به غيرهم من الشعوب، واكتملت الصورة لدى فى اليوم التالى عندما قرأت تصريحا لرئيس الوزراء السنغافورى في الجرائد يعرب فيه عن أنه إذا لم يكن هناك مفر من الحرب ضد العراق فإنه يفضل أن تكون تلك الحرب سريعة وخاطفة حتى لا تتأثر أسعار النفط وتؤثر بالتالى على الاقتصاد السنغافورى ! ! دون أن يذكر شيئا عن الأبعاد السياسية للموضوع أو عدالة القضية نفسها من قريب أو بعيد.

وهكذا فإن كل شيء يترجم الى إقتصاد ومال و معيار نجاحك كفرد وكمجتمع هو كم تربح وكم ادخرت وليس أى شيء آخر .

ولا شك أن المال هو أحد أهم الأشياء فى حياة الأغلبية العظمى من البشر ، وأن أكل العيش هو هم الجميع ، لكن ما رأيته من قدرات خاصة لدى أغلب السنغافوريين على إدراك وتحليل الحقائق الاقتصادية على أنها حقائق الحياة ذاتها ،والوعى العالى للغاية بما ينفعهم أو يضرهم اقتصاديا كأفراد أو مؤسسات أو دولة هو بالفعل من الأشياء اللافتة للنظر والمثيرة من وجهة نظرى للإعجاب، وذلك على الرغم من الانتقادات التي تقول بأن السنغافوريين ماديين للغاية أو أنهم لا يعرفون كيف يستمتعون بحياتهم من فرط العمل والتفكير فيه ،وهو ما يقال أيضا على الناس فى اليابان وهونج كونج .

إلا أن النموذج بدا لى كعربى طريفا وجديرا بالتأمل وتذكرت جلسات الشباب المطولة في بلادنا يتحدثون عن السياسة والمذاهب والأيدلوجيات وأن

تلك الجلسات لو ركزت على التجارة و الأعمال الحرة لكان وجه الحياة فى بلادنا العربية تغير منذ زمن طويل، ومن جانب الحكومة ،فإن تنمية روح المشروعات الخاصة وتشجيع إقامة المشروعات الخاصة يعد جزءا أساسيا من مناهج التعليم ومنذ وقت مبكر فى المرحلة الثانوية (وهى المعادلة للمرحلة الإعدادية عندنا) حيث يتم تدريس مناهج خاصة بتنمية روح التجارة والاستثمار أوعلى الأقل جعلها خلفية ثقافية فى ذهن النشء حتى لو اشتغلوا بأعمال لا تتصل مباشرة بالتجارة والاستثمار .

الاقتصاد هوية دولة :

عندما لا تملك دولة ما تاريخا عريقا أو إطارا قوميا أو هوية أصيلة ضاربة فى القدم، عندما لا تملك فلكا من الدول تنتمى له وترتبط به بإرادتها أو رغما عنها ،فقد نظنها دولة ضعيفة مهددة مسكينة ،لا تجد من يشد عضدها ويهب لنجدتها وقت اللزوم ، إلا أن من يعيش يرى الكثير كما يقولون .

فكما أن تلك العوامل تضيف إلى قوة أي دولة ،فقد تكون تلك العوامل فى بعض الأحوال عندما يساء استغلالها والاستفادة منها -قيودا تحد من الانطلاق أو تعوقه أو تضع فى الطريق أنواعا ما من المشاكل ، وسنغافورة جزيرة عرفها التاريخ شبه مهجورة من السكان إلا من بضعة مئات من الصيادين أو القراصنة وبعضاً ممن يزرعون ويصطادون ما يأكلون وكفى.

حتى جاءها النبيل الإنجليزي ستامفورد رافلز الذى حولها لمركز للتجارة وبدأ فى جلب المهاجرين الصينيين إليها فغير وجه الجزيرة الى الأبد، ويبدو أن رافلز نفسه لم يكن يحلم يوما بأن يكون مستقبل تلك الجزيرة الصغيرة باهرا لهذا الحد وأن تثمر البذور التى زرعها كل تلك الثمار، ومع استقرار الاحتلال البريطانى زاد عدد ونسبة الصينيين الذى هاجروا من جنوب الصين وقل عدد

ونسبة المالاى الذين فضلوا الهجرة إلى الشمال حيث ارض ماليزيا الأم .وكان على المهاجرين الصينيين الجدد أن يجدوا هوية لأنفسهم ولبلدهم ، هوية سياسية واجتماعية وثقافية ودينية تجمع ما بين الأعراق والأديان المختلفة فى الدولة حتى يقدموا أنفسهم للعالم ككيان منفصل عن ماليزيا ،وحتى يضمنوا أيضا لأنفسهم داخليا هوية وطنية يلتف حولها المواطنون بالولاء .

وبالطبع كانت المهمة شبه مستحيلة فى ظل الاختلاف الذى يصل إلى حد التنافر ما بين البوذية والهندوسية والإسلام ،وما بين الثقافات المالاوية والهندية والصينية ،وما بين الأعراق الصينية والمالاوية والهندية ، وكانت الهوية السياسية الرأسمالية لسنغافورة عائقا أساسيا أمام إيجاد جسر أيديولوجي يربط الأغلبية الصينية فى سنغافورة بوطنهم الأصلي الصين الغارق فى الشيوعية حتى أذنيه ،وإن كانت الإشارة جديرة إلى أن الشيوعية لم تكن عائقا أمام صلات تجارية نشأت بين الصين وسنغافورة منذ عقود طويلة ومازالت حتى اليوم تشهد نموا مضطردا .

وبذلك كانت أزمة الهوية عائقا أمام الدولة الناشئة عام ١٩٦٥ ،وما زالت، هاجسا يطل برأسه من آن لآخر على القيادة والشعب فى سنغافورة حتى الآن رغم الحل المتميز الذى أوجدته سنغافورة لنفسها للتغلب على مشكلة الهوية .

وكان الحل الذى تبنته سنغافورة فى منتهى الذكاء والعملية فى آن واحد وكان مبنيا على محورين أساسيين:

الأول أن تكون الوحدة الوطنية شعاراً مرفوعاً فى كل مكان وأن سنغافورة ملك لكل السنغافوريين بحقوق متساوية ،وهو الشعار الذى لم يكن صادقا طول الوقت بالطبع فى ظل الإمتيازات غير العلنية التى تنعم بها الأغلبية الصينية ، ويتصل بذلك العمل على جعل الدين (وهو أكثر النقاط حساسية فى الوحدة الوطنية لأى دولة) مسألة شخصية تخص الأفراد ولا تخص الدولة

التى انتهجت النهج العلمانى وأعلنت احترامها لكافة الأديان وحرية ممارستها فى أماكن العبادة أو فى المنازل مع عدم شرعية التبشير أو الدعوة لأي دين علنا أو تدريسه فى المدارس الحكومية ،وكان الاستثناء الوحيد للمدارس الإسلامية التى أنشأها المسلمون فى سنغافورة منذ أجيال طويلة وظلت تموّل وتدار بمعرفة المجلس الإسلامي السنغافورى .

الثانى أن توجد بين أفراد الشعب رابطة اقتصادية قوية تضمن ارتباطهم بعضهم واعتمادهم المتبادل دون النظر لدين أوعرق ،وتلك كانت الخطوة الأكثر فعالية وعملية فى تحقيق الوحدة الوطنية فى هذا البلد الصغير ،فلا شك أن (أكل العيش) ،كما نطلق عليه فى بلادنا ،له أهميته فى حياة كل إنسان و هو أيضا ضامن رئيسى لعلاقات طيبة بين الإنسان وشريكه نظرا لاحتياج كل منهما للآخر بل واحتياج كل منهما إلى أمن الآخر وسلامته، وفى سنغافورة فإن الاعتماد والاحتياج الاقتصادى المتبادل بين الأعراق وأتباع الأديان المختلفة فى هذا المجتمع الصغير كان كفيلا ومنذ ما قبل استقلال سنغافورة وظهورها كدولة مستقلة بتوفير رابطة أثبتت متانتها رغم بعض المشكلات التى تظهر من آن لآخر كتلك التى أدت لوقوع بعض الصدامات المتفرقة فى الفترة من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٦٨ ، وأيضا الأزمة الاجتماعية "الصامتة" التى وقعت بعد اكتشاف تنظيم الجماعة الإسلامية الإرهابي والذى كان يهدف لتدمير عدد من المنشآت الهامة فى الدولة بما فيها سفارات ومصالح أمريكية فى سنغافورة وهو ما أدى إلى حدوث ما يشبه أزمة الثقة بين المسلمين وغير المسلمين إلا أنها كانت أزمة صامتة أو هادئة كما ذكرنا لم تظهر لها آثار عنيفة أو عميقة لعدة أسباب كان من بينها أسلوب الحكومة فى تدارك الأزمة بشكل يتسم بالحكمة والموضوعية ،وهو ما سنتعرض له بالتفصيل فى الجزء الخاص بالأعراق والأديان فى سنغافورة .

أما على المستوى الخارجي فقد لعب الاقتصاد أيضا دورا كبيرا فى خلق هوية مميزة لسنغافورة على الساحة الإقليمية والعالمية .

فقد كانت سنغافورة محرومة عند إستقلالها من أية أوراق اعتماد تاريخية أو سياسية تقدمها للعالم الخارجي حتى يعترف بها ويتعامل معها سوى ورقة واحدة ،وهي ورقة الاقتصاد الذى كان ولا يزال الملمح الأساسي الذى تقدم به سنغافورة نفسها للعالم الخارجي وتنال به احترامه واعترافه، وهكذا كانت التجارة والصناعات الإلكترونية والبتروكيماوية والميناء ذى الطاقة الهائلة أوراق إعتماد خلقت لسنغافورة شهرة وصيتا يفوق صيت التاريخ والسياسة.

قضية الاقتصاد القوى يعنى المال بما له من سطوة ونفوذ فى عالم الدول كما هو فى عالم الأفراد ،وصيت الاقتصاد القوى يعنى شبكة من المصالح القوية مع دول أخرى داخل الإقليم وخارجه تجعل أمن تلك الدولة الصغيرة واستقرارها هدفا هاما لتلك الدول تدافع هى الأخرى عنه بنفس القوة التى تدافع بها عن مصالحها وتلك هى لغة عالم اليوم ٠٠لغة المال والمصالح، ويكفى لشرح النقطة السابقة القول بأن ماليزيا التى كانت فى منتصف الستينات تمثل الخطر الرئيسي على استقلال سنغافورة ،لأنها كانت يوما ما الدولة الأم التى انسلخت منها سنغافورة، أصبحت الآن أحد أكثر الدول اهتماما بأمن سنغافورة واستقلالها، ليس فقط للتلاحم الجغرافى بين الدولتين ،ولكن أيضا لأن حجم المشروعات السنغافورية فى ماليزيا وحجم المصالح الاقتصادية والاستثمارية لماليزيا فى سنغافورة بالإضافة إلى المشروعات المشتركة بين رجال الأعمال فى البلدين وفى دول أخرى ،كل ذلك جعل من ماليزيا أحد أكثر الدول حرصا على استقرار الأوضاع فى سنغافورة ،بل و هناك الكثير من المناسبات التى قدمت فيها ماليزيا لسنغافورة العون الحقيقى والفعال للتغلب على أزمة أو مشكلة طارئة كتعقب

جـماعـات إرهابية أو مـواجهـة وباء مرض سـارس ،وهو العون الذى كـان متبادلا من الجانبين بشكل منفصل تماما عن الخلافات السياسية بينهما على قضايا كثيرة، نفـس الأمر ينطبق أيضا على الصين التى كان لسنغافـورة علاقات تجارية وثيقـة معهـا حتى قبل أن تتـبنى الصين نهجـا أكثر انفـتاحا على العـالم وتعدّل أجندتها الشـيوعيـة - إن جاز التعبـير - لتصـبح أكثر نهـما وانفتاحـا من أقوى الدول الرأسـماليـة ،ومع الولايات المتـحـدة الحليف الرئيـسي ، وغيـر ذلك من الدول الكبرى التـى لا ترى سنغافورة ولا تراها سنغـافورة إلا من خـلال نافذة الاقتـصاد والتـجارة وهى نافذة يبـدو أنها لا توصـدها الأحداث والخطوب ولا تؤثر فيها الخلافات السياسية لأنها ببساطة " أكل عيش" .

كيف فعلوها :

سنغافورة مـعجزة اقتـصادية لا شك ولا خلاف ، وكما ذكـرنا فإن دولة تصنع هذا الهيكل الاقتصادى الهائل من لاشىء تقـريبا ، تكون قد صنعت معجزة ، ولأن زمن المعجزات لم ينته بعد مع اختلاف بسيط عن الازمنة القديمة وهو أن المعجزات أصبـحت من صنع البـشر، ومـعجـزات العصـر الحاضـر أصبـحت قابلة للـشرح والتفسير والدراسة ، ولئن كانت معجزات السماء قد جاءت من قبل الله عز وجل لتؤيد رسله وأنبيائه وتكون حـجة على الكافرين ، فإن معجزات البـشر تأتى لتؤكد من ناحية عظمـة ما وهبه الله للبشر من قـدرات كان فى مقدمتـها العقل والارادة ، ومن ناحـية أخـرى تكون حجـة على أولئك الذين انشـغلوا بالتـعلل بما لديهم من مشكلات لتكون مبررا لما هم فيه من تأخر وتخلف.

المعجزة الاقـتصادية السنغافورية يا عـزيزى القارىء قابلة للشرح والتفـسير بل والتكرار والتـقليد ممن يستطـيع، وبحكم عملى واهتـمامى فقـد قرأت الكثـير من الدراسات التى تطرقت إلى ما قامت به سنغافورة للخروج من قمقم العالم الثالث

الى مقعد وثير فى ردهة أعضاء نادى العالم الاول ، وكان من بين تلك الكتب ما وضعه لى كوان يو مؤسس سنغافورة الحديثة ورئيس وزرائها منذ عام ١٩٦٥ وحتى ١٩٩٠ ، وتطرقت تلك الدراسات فى أغلبها الى تفاصيل ما قامت به سنغافورة من انجازات يمكن أن تكون قد حققتها دول أخرى فى نفس الفترة الزمنية وذلك على المستوى الاجرائى ،إلا أن تلك الدول لم تنل ما نالته سنغافورة من تقدم.

فالحديث عن اجراءات رفع انتاجية الصناعات الوطنية والعمل حتى جذب المستثمرين على سبيل المثال كلها من الاجراءات التى قامت وتقوم بها العديد من دول العالم الثالث التى لم تستطع الوصول او الوثوب الى المكانة التى تحتلها سنغافورة حاليا ، وبالتالى لم تقدم العديد من الدراسات التى وقعت تحت يدى ربما باستثناء كتاب لى كوان يو إجابة شاملة شافية لشرح المعجزة السنغافورية.

الثابت أن لى كوان يو شخص ملهم بالفعل والهامه هو قوة الإرادة وصلابة العزيمة واخلاص الرفقاء الذين بدونهم ما كان الإنجاز قد تم كما قال هو ، فالصورة ليست هى صورة الزعيم الاوحد الذى استيقظ يوما ليضع خطة عبقرية ووصفة سحرية تخرج بلده من الفقر الى الغنى ومن التخلف الى التقدم ، بل هى العمل المخلص المتفانى لعشرات السنين من أصغر إلى أكبر شخص فى مجتمع صغير لا شك أن توجيهه وتحريكه أمر أكثر يسرا من توجيه مجتمعات كبيرة ، ويمكننا القول بأن التجربة الاقتصادية السنغافورية قامت وما زالت على أسس واضحة معلنة للجميع نجحت سنغافورة فى تطبيقها بأعلى كفاءة وتلك الاسس هى التى جعلت التجربة السنغافورية مميزة عن غيرها وجعلتها تؤتى ثمارهافى فترة قياسية لا تتعدى العقدين ، تلك الأسس هى :

١- الاهتمام بالكيف التكنولوجى المتفوق فى كل مناحى الحياة سواء عن طريق

نقله من الخارج أو ابتكاره فى الداخل ،ويدخل فى ذلك الحرص على التفرد فى تقديم ما لا يوجد لدى أغلب الدول الاخرى خاصة الدول المجاورة لها وما أدراك ما هى ، دول تخوض هى الاخرى تجارب نجاح اقتصادى عظيم وتلقب بالنمور الاسيوية وكلها أكبر حجما وموارد من سنغافورة ، ولكنها كلها تتضاءل أمام التجربة السنغافورية السباقة فى تلك المنطقة من العالم.

٢- الارتقاء بالتعليم لينافس ما لدى أكثر دول العالم تقدما فالتعليم كما ذكرنا هو صناعة البشر وهم أهم وأغلى مقوم من مقومات التنمية خاصة فى بلد لا تملك سوى البشر ، والارتقاء بالتعلم هو مفتاح الارتقاء بالكيف وبالتفوق النوعى ، فإذا أردت شعبا قادرا على الوقوف على أحدث ما لدى العلم والتكنولوجيا المتقدمة أولا بأول فيجب أن يكون من بين صفوف هذا الشعب أعداد كبيرة قادرة ليس فقط على استيعاب معطيات تلك التكنولوجيا بل وعلى المشاركة فى تطويرها و الابتكار فيها قدما بقدم مع أكثر دول العالم تقدما .

٣- الانفتاح الإيجابى على العالم الخارجى ليأتى العالم الى سنغافورة فى نفس الوقت الذى تذهب هى إليه ، ومعنى ذلك باختصار أن سنغافورة قد سبقت كافة دول منطقتها والكثير من دول العالم فى فتح أبوابها للاقتباس من العالم المتقدم وأيضا للاستثمار الحر واضعة أقل قدر من القيود على المستثمرين الاجانب ومشروعاتهم وساوتهم بالمستثمرين الوطنيين واعطت الجميع أضواء خضراء أكثر من الاضواء الحمراء ، ووجهت الاقتصاد فى الطريق المطلوب والذى يتناسب مع طبيعة تلك الدولة الصغيرة الحجم والسكان والمساحة والعديمة الموارد . فقد أدرك بناة تلك الدولة وعلى رأسهم لى كوان يو أن الصناعات الثقيلة على سبيل المثال ليست من حلبات منافستهم مع دول أخرى وأن الانتاج الزراعى ليس مجالهم أصلا ولا داعى لاضاعة الوقت والجهد فى بعض الانشطة التى لا تعنيهم فهم

يدركون منذ البداية أن عليهم التميز فى الكيف وليس الحجم والكم وأن تلك الجزيرة الصغيرة بملايينها الثلاث أو الاربع لن تنتج ما تنتجه مزرعة ماليزية أو إندونيسية واحدة ولن تحقق دخلا هائلا إن أقامت صناعة سيارات ضخمة مثلا ولكنها قد تكون أكثر نجاحا إن أنشأت مصنعا صغيرا فائق التخصص فى إنتاج أشباه الموصلات التى تستخدم فقط فى صناعة معالجات الكومبيوتر دون غيرها .

ثم أنهم أدركوا أن معركة التقدم هى معركة الوجود ذاته فهم لا يملكون رفاهية البقاء كدولة فقيرة ، فالواقع السياسى الذى نشأت فيه الدولة فى الستينات أملى عليها حقيقة أنها إما أن تكون دولة غنية اقتصاديا أو أنها ستنمحى من الوجود كدولة مستقلة وتعود جزيرة تابعة لماليزيا وهذا التقدم وهذا الغنى الاقتصادى هو بعينه الاستقلال وهو الولاء وهو أيضا الأمن القومى لدولة لو جندت كل مواطنيها فلن يكون لديها جيش يذكر من حيث العدد أمام جيوش الدول المجاورة لها .

٤- الضرب على الفساد ، وهنا من وجهة نظرى مربط الفرس فى حديثنا عن التجربة السنغافورية .. فالتخطيط للاقتصاد أمر بالغ الاهمية وحشد الطاقات لتنفيذ تلك الخطط أمر حيوى دون شك وجذب المستثمرين وثرواتهم وتشجع المواطنين على الاستثمار كل ذلك على العين والرأس فى قاموس بناء إقتصادات الدول ، إلا أن كل ذلك يكن أن يذهب أدراج الرياح إن كانت هناك ثقوب فى إناء الثروة الوطنية تتسبب فى ضياع كل ما يتم ادخاره من مال أو جهد أو خبرات أو سمعة للدولة كلها ولبيئتها الاقتصادية داخليا وخارجيا .. تلك الثقوب هى الفساد وهو العنصر الذى يستحق منا التوقف عنده أكثر من العناصر الثلاث السابقة نظرا لأهميته البالغة فى معادلة التجربة السنغافورية .

وقناعتى دائما هى أن الفساد كلمة غير دقيقة لوصف تلك الظاهرة الخطيرة فى حياة الشعوب ، وأن تعبير الإفساد هو التعبير الأصدق لوصفها، والواقع أننى لست

بطبعى من أنصار مبدأ "خالف تعرف" ،أو من المتحذلقين بلغتنا العربية البليغة، لكننى ببساطة أرى أن الفاسد أخلاقيا لا يقتصر ضرره على ذاته فقط بل يمتد للمجتمع من حوله . فمن يرى شخصا فاسدا ويعاشره لفترة طويلة قد يستمرىء هو الآخر الفساد ويراه سهلا وهينا ،ومن هنا كان الفساد أو الإفساد من أكثر الأمراض عدوى لأن النفس الإنسانية ضعيفة بطبعها والمال له سطوته على النفس والعقل لاجدال، وقد ثبت من العديد من الدراسات التى ظهرت فى السنوات العشر الأخيرة على ظاهرة الفساد الحكومى والإدارى فى عدد من الدول أن الفساد مرض شديد العدوى وأن النسبة الأكبر ممن أقدموا على الفساد وأضروا أنفسهم ومجتمعاتهم وبلادهم به ، كانوا تحت تأثير تجارب ناجحة لفاسدين آخرين فعلوا ما فعلوا ثم لم يجدوا من يعاقبهم ويقتص منهم ، فأصبح الفساد فى عيون الباقين سهلا ميسورا لا خطر من ورائه ، وكذلك سرت العدوى كالنار فى حطب جاف، والفساد أو الإفساد من أعظم المخاطر التى تهدد اقتصاد أى شعب من الشعوب وأى دولة من الدول خاصة لو كانت تلك الدولة نامية تكافح حتى تجد لنفسها ولأبنائها القوت ،فهو بمثابة ثقوب فى الإناء الذى من المفترض فيه أن يقوم بتجميع الثروة وتكثيفها وإعادة استخدامها واستثمارها ليشمل خيرها الجميع وتكبر وتنمو، وباطمئنان يمكننا أن نوافق على المقولة التى تؤكد أن الدول التى ضربت الفساد وحجّمته بقوة وحسم قطعت بذلك الإجراء نصف الشوط فى طريق التقدم والرخاء، فالفساد هو السوس الذى ينخر فى جسد الاقتصاد بكل فروعه وهو الثقوب التى تتسرب منها الثروة والموارد فلا تتراكم بالحجم المطلوب الذى يسمح باستغلالها بالشكل الأمثل ، وهو المعول الذى يهدم طموح النفوس ومعنوياتها والذى بدونه يصبح التقدم والتطور شعارات على الورق واللافتات، وهو أيضا أكثر العوامل التى تجعل المستثمرين يهربون سواء كانوا مواطنين أو أجانب.

فالبيئة التى يستشرى فيها الفساد لا يمكن أن تجتذب مستثمرا جادا يحترم عمله ويخاف على رأس ماله ،اللهم إلا إن كان من أولئك المتسلقين الأفاقين الذين يسعون لاقتناص فرصة سريعة يحصل عليها من خلال الرشوة مثلا ليصنع منها بعض المال يأخذه ويهرب بعيدا يبحث عن فرصة مماثلة ، فلا يسهم أو يشارك فى بناء إقتصاد الدولة التي يستثمر فيها، وهذا لا يطلق عليه وصف مستثمر أو رجل أعمال ويمثله لا تُبنى إقتصادات الأمم.

ونظرا لأن الفساد مرض فإن الوقاية منه أسهل من علاجه بكثير ،ولأنه ذو أبعاد إجتماعية أخلاقية إقتصادية فإن مواجهته واجب قومى كالدفاع عن أرض الدولة وممتلكاتها ، ومن هنا كانت الدول الجادة في محاربة الفساد كاليابان والدول الاسكندنافية موفقة تماما لأنها تداركت المرض قبل حدوثه وتفشيه وضربت المكّبل فاتعظ الطليق ولامحاباة أو هزر فمكافحة الفساد هى المعركة المستمرة التى تخوضها الدول التى تنوى بنفسها وأبنائها وأجيال المستقبل فيها خيرا ، ولم تكن التجربة فى سنغافورة بعيدة عن ذلك ، فقد اقتنع الحاكم والمحكوم أن مواجهة الفساد لها أهمية العمل والإنتاج ،بل أن العمل والإنتاج يمكن أن يضيع بسبب شخص فاسد طليقّ السراح لا يوقفه أحد ، ولم يكن الاقتناع بمفرده كافيا بل تم إنشاء جهاز قوى وصارم هو مكتب مكافحة الفساد ،وهو صغير الحجم وفعال الأثر ويرأسه رئيس الوزراء شخصياً وليس فيه محسوبية أو وسائط أو تهاون عن أى هفوة .

ومن غير الممكن بالطبع افتراض خلو أى مجتمع بشرى من الفساد بمختلف مظاهره ، إلا أن سنغافورة استطاعت أن تنجح فى أن تكون من أكثر بلاد العالم خلوا منَ الفساد وتحتل في ذلك سنويا مرتبة تتراوح ما بين الثانية إلى الرابعة على مستوى العالم، ومجرد نشر تلك المعلومة عن سنغافورة فى وسائل الاعلام يعد فى

حد ذاته أكبر دعاية لها في سوق الاستثمارات العالمية ،وعامل جذب للمؤسسات الكبرى لكى تتخذ من سنغافورة مقرا اقليميا لها، خاصة وأن جيران سنغافورة في جنوب شرق آسيا لا يتمتعون بنفس السمعة الطيبة فى هذا المجال، وبالفعل فإن الخوف من الاتهام بالفساد يعد هاجسا لدى كل السنغافوريين حتى أولئك الذين يشغلون وظائف غير قيادية .

وأذكر في ذلك أنه عندما تعطلت سيارتى فى يوم على أحد الطرق السريعة واضطررت للتوقف على جانب الطريق ، لم تمر دقيقتان بالضبط إلا وحضرت سيارة شرطة لتتوقف خلف سيارتى تماما ونزل منها ضابطان رجل وسيدة ،وقاما على الفور وقبل أن يتحدثا معي بإخراج عدد من القراطيس البلاستيكية الملونة لوضعها وراء موقع السيارة إلى مسافة حوالى ١٠٠ متر لتحذير السيارات القادمة حتى لا تتعطل الطريق ، ثم بادرنى الضابط بسؤال مهذب قائلا بالحرف :"ماذا حدث يا سيدى" فرددت : كما ترى السيارة تعطلت ، فرد هل تريد منى استدعاء سيارة إنقاذ لسحب السيارة أم تريدنى أن أساعدك فى محاولة تشغيلها ، فأصبت بارتباك أمام هذا الذوق عالى المستوى ،وقبل أن أرد عليه بادرنى بالاعتذار بأنه لا يستطيع ترك الموقف على ما هو عليه لكيلا يتعطل المرور ، فطلبت منه أولا إحضار تاكسى ليأخذ أسرتي ويعيدهم الى المنزل ثم يطلب شاحنة لقطر السيارة وكان ما طلبت فى ثوانى ،حيث قامت الضابطة باستدعاء التاكسى باللاسلكي وقام هو باستدعاء الشاحنة التى تأخرت عشر دقائق ،وعندما حضرت أخبرنى الميكانيكى أن المشكلة في دائرة الكهرباء وأن السيارة يمكن أن تعود للعمل لو انتظرنا ربع ساعة أخرى ، وفى الانتظار خطر لى شراء بعض المشروبات الباردة من محل قريب لمقاومة حر الجو الرطب. وكعادتنا العربية لم أكن لأشرب بمفردى ومعى أشخاص جاءوا لمساعدتى فاشتريت لى وللضابطين ولسائق الشاحنة ٤علب مرطبات ، إلا

أن الضابطين رفضا بشدة تناولهـا قائلين إننا نقوم بواجبنا ، وفى الواقع لم أكن أقصد على الإطلاق أن أقدم لهما أى رشوة فثمن علبة المشروب المرطب هو ثمن بسيط ولا يصلح كرشوة لأى أحد ،كما أنهما على حد قولهما يقومان بواجبهما دون مجاملة لى ، إلا أن خوفهما الشديد من الاتهام بالحصول على رشوة منى أوحتى افتراض سوء الفهم فى هذا الشأن جعلهما يرفضان عرضي الملح بشرب شيء يخفف من وطأة الحر والشمس رغم أننى كنت على يقين أنهما أعطش منى وأحوج لشربة الماء .

والى هذه الدرجة ، فإن هناك رفضا تاما أو ربما خوف شديد لفكرة الرشوة حتى لو كانت مقدمة بشكل غير مقصود وحتى لو كانت شيئا تافها لا يثير الريبة، وسواء كان الأمر منبعه خوف أو تعفف ، فإن النتيجة هى الأهم ،فمن لم يرتدع بالشرف والتعفف ارتدع بالتخويف وعصا القانون ..تلك هى الحقيقة التى ينبغى أن نعترف بها .

وينبغى القول بأن المستوى المعيشى المرتفع قد ساعد كثيرا فى أن تحقق سنغافورة تلك المكانة المتميزة فى القضاء على الفساد أو تقليله لأقصى درجة ممكنة، فالفقر وحش شرس والمستوى المعيشى المعقول أو المرتفع فى الكثير من الأحيان يمكن إلى حد كبير أن يعصم الكثيرين من الوقوع فريسة للفساد .

من ناحية أخرى فإنه ما كان لسنغافورة أن ترى ما تراه حاليا من رفاهية وتقدم دون أن تُحكم الدولة-وتحديداً أعلى سلطة فيها- قبضتها على الفساد والمفسدين ، فإن كان الفساد يمثل كما ذكرنا ثقوبا تسرب حصيلة الثروة القومية وتستنزفها فى الدول ذات الحجم الكبير ، فإن الفساد في دولة صغيرة ناشئة كسنغافورة فى الستينات والسبعينات كان سيعنى قضاء مبرما على إقتصادها الذى هو -كما ذكرنا- هويتها وعمودها الفقرى وبطاقة تعريفها أمام العالم أجمع، وعلى الرغم

من المكانة المتميزة التى يرى السنغافوريون أنفسهم فيها من حيث النجاح فى مكافحة الفساد والإفساد ،فإن الحكومة على قناعة بأهمية عدم أخذ النجاح الباهر الذى حققوه كأمر مسلم به بل لابد من الاستمرار فى العمل على حمايته بكل الطرق وعلى رأسها محاربة الفساد .

فما وجدته فى سنغافورة من نظم وتشريعات لمكافحة الفساد يوحى كما لو كانت الدولة تعانى من درجة عالية من الفساد وأن الجميع عليهم مواجهة القضية بكل حزم فى شكل حملة قومية ، رغم أن البعد عن الفساد يكاد يكون عادة لدى الناس فى هذا البلد الصغير، ولكنها عادة الناجحين ،أن يتعاملوا مع المشكلات قبل أن تحدث ويتحسبوا لها كما لو كانت قد حدثت بالفعل

فالنظم والقواعد المعمول بها فى مختلف المصالح الحكومية على سبيل المثال وتلك التى يتم التعامل بها مع البنوك وبين شركات ومؤسسات القطاع الخاص لا - تترك بطبيعتها فرصة لفساد من أى نوع ،وذلك لعدة أسباب أهمها أن نظم التعامل تتسم بالعلانية الشديدة وأن متخذ القرار يتخذه علنا وفى النور ولأسباب واضحة كالشمس ولايوجد قرار يتخذ "دون إبداء أسباب" أو مناقصات أو عطاءات مثلا يتم تسويتها فى ظلام الليل وهكذا .

وعلى الرغم من عدم تمتع سنغافورة سياسيا بنفس القدر من الديموقراطية الذى تتمتع به دول أوروبية أخرى مثلا ، وعلى الرغم من أن الصحافة السنغافورية لايمكن وصفها بأنها أداة حاسمة لكشف الفساد أو إنتقاد الحكام ، إلا أن عملية الرقابة على الفساد تبدو صارمة وقوية ليس لسبب سياسى أو لالتزام حزبى تجاه الناخبين ، ولكن ببساطة لأنها تتعلق بالعجلة الاقتصادية و(بأكل العيش) وأن أى شخص لا يتحمل مسئولية أن يضر بأكل عيش الآخرين الذين لن يتركوه يهرب بما سلب ونهب ، وإلا كانوا هم مثله وشركاؤه فيما يفعل بشكل أو بآخر .

فالضرائب العالية التى يتم الحصول عليها من الأفراد و الشركات ، وأسلوب إدارة المؤسسات الحكومية المعتمد على فلسفة القطاع الخاص التى تترجم كل قرار وكل جهد وكل خطأ إلى أرقام وأموال لا مجال فيها لعاطفة أو مشاعر أو محسوبيات أو مجاملات ، بالإضافة الى وجود نظام رقابة صارم متمثل فى أجهزة وقوانين وتشريعات محاربة الفساد ، كل ذلك جعل منافذ الفساد ضيقة للغاية إن لم تكن منعدمة .

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن الشعب السنغافورى الذى قبل بعدم وجود ديموقراطية حقيقية فى بلده ، اتفق اتفاقا ضمنيا مع حكومته منذ عشرات السنين أن يبقيها فى مكانها وأن يترك لها السياسة بصداعها ومشكلاتها ،مقابل أن تضمن له الحكومة أفضل ظروف للعمل والنجاح وصنع الثروة وكلٌعلى قدر كفاءته و(شطارته)، وبالطبع فإن من أهم العناصر التى تهيئ الظروف للنجاح هو القضاء على الفساد وبالتالى فإن المجال الوحيد للشطارة على حد الوصف السابق هى الشطارة المشروعة والنزيهة .

أما بالنسبة للبعد الدينى لمحاربة الفساد فمن الأسف القول بأن مكافحة الفساد فى سنغافورة لا تستند على أساس دينى يذكر ،وإنما هى تقوم على فكرة أن النزاهة ونظافة اليد تولد وتشيع الثقة وهى شرط لازم للتاجر الناجح الذى يريد أن يستمر فى السوق ،والتاجر هنا يرمز لكل من لديه أعمال حرة وكل من يعمل بالاستثمار بمفهومه الواسع حتى لو كانت الحكومة ذاتها .

فإن كانت الدولة كلها تحمل هوية هذا التاجر وتعرّف نفسها للعالم على أنها تاجر نزيه وجدير بثقة الشركاء فى مختلف القارات ، فإن تحريم الفساد وتجريمه يعد هدفا أساسيا لهذا التاجر يحرص على إعلانه أمام الجميع تماما كما يفعل أى تاجر تقليدى يريد أن يحقق الكسب الشريف ويحوز ثقة الناس ، وذلك دون أن يكون

للقيم الدينية ذكر أو إشارة فى الموضوع، وهو أمر مفهوم فى دولة لا دينية وعلمانية تعلن أنها تحترم كافة الأديان دون تحيز أو تفرقة ،وهو أمر ايضا يحظى بتفهم أمر، ويحظى أيضا باحترام المواطنين أنفسهم الذين لا يرون ضرورة لإثارة خلافات حول المبادىء الدينية لمكافحة الفساد طالما أن نتيجة جهود الحكومة فى مكافحة الفساد كانت بالغة الإيجابية ،وطالما أن تلك النتيجة تتفق فى الواقع مع ما تنادى به كل الأديان السماوية وغير السماوية وهو المطلوب إثباته وتحقيقه .

تفضل عندنا !! :

عندما تمر بأحد الأسواق الشعبية التقليدية فى أى مكان فى العالم تجد الباعة عادة لا يكتفون بالجلوس أمام بضائعهم ينظرون إليها ويخافون عليها من السرقة أو التراب او التلف ، بل تجدهم فى الغالب يقفون يصيحون على بضائعهم داعين الناس بالغناء مرة وبالزجل مرة بل ويجذب أيادى الناس مرة أخرى ليأتوا ويروا البضاعة ،وقد يلح البائع قائلا تفضل عندى ستجد أجود وأحسن ما فى السوق، كل ذلك عسى أن يتخذ أحدهم قرارا بالشراء .

وتأتى نهاية اليوم لتميز الكسول من الشاطر فمن يبيع بضاعته أولا فقد نجح وفاز ، ومن تراكمت بضاعته عنده ليحاول بيعها فى اليوم التالى فقد خاب .

واستمرارا لنفس الصورة دعونا نتخيل شخصا ليس لديه الشيء الكثير الذى يبيعه ولنتخيل أنها بضاعة قليلة العدد والأهمية لدى الزبائن ، فماذا عساه أن يفعل وليس لديه غير تلك البضاعة ، بينما لديه قدر كبير من الذكاء والرؤية شديدة الوضوح للحاضر والمستقبل ، فراح يقدم كل ما لديه فى أكثر الاشكال جاذبية للزبائن حتى ربح وكسب فاشترى بضائع جديدة لم تكن عنده من قبل ووسع تجارته وربح الكثير وأصبح شهبندر التجار!!

تلك هى قصة سنغافورة مع العالم الخارجى ، فواقع الأمر أن الثروة والنجاح

الذى صنعتهما سنغافورة لم يكونا لولا الاستثمارات الخارجية التى إختارت أن تحط رحالها فى سنغافورة دون غيرها من (الباعة فى سوق المنطقة)، فقد كانت سنغافورة وما زالت أكثر دولة فى منطقة جنوب شرق آسيا تستطيع أن تجذب المستثمرين وتكسب ثقتهم بما لديها من بنية تحتية متميزة ، وعمالة مدربة ومتعلمة ونظام ضريبى مرن وقوانين استثمار مشجعة وأيضا قبضة قوية لمحاربة الفساد، وشبكة اتصالات متميزة مع كل دول العالم تجعل من شركة أمريكية أو بريطانية على سبيل المثال تقيم فى سنغافورة فى قلب جنوب شرق آسيا وكأنها ما زالت فى قلب بلدها، وأذكر أن أحد أصدقائى الأمريكيين أرسلته المؤسسة الأمريكية التى يعمل فيها (وهى من أكبر عشرين شركة على مستوى العالم) ليدير مشروعا لها فى فرعها فى سنغافورة الذى هو الفرع الرئيسي للمؤسسة فى قارة آسيا ككل ، وكان من خلال موقعه هذا يدير المشروع الذى أتى من أجله فى مصنعهم فى سنغافورة وفى تايلاند ، وفي نفس الوقت يدير عمله ووحدته التى تضم ٤٠ فردا فى الولايات المتحدة ويعقد إجتماعاته ومقابلاته فى كاليفورنيا كأنه ما زال هناك من خلال شبكات خاصة بتلك الشركة وهى شبكات فائقة القوة والتطور قدمتها سنغافورة لتلك المؤسسة لكى تختار البقاء فى سنغافورة ولا تذهب بمقرها لدولة أخرى منافسة فى المنطقة.

فقد قامت سنغافورة منذ السبعينات بتقديم نفسها فى أفضل صورة للمستثمر الأجنبى و قام مجلس التنمية الاقتصادية EDB بتجربة متميزة فى جذب كبار المستثمرين ، فقد أنشىء هذا المجلس بهدف العمل على جذب المستثمرين من كل أنحاء العالم إلى سنغافورة ،وكان ولا يزال له مكاتب تعمل بشكل مستقل عن سفارات سنغافورة فى الخارج ،هدفها جذب صفوة المؤسسات العالمية لتستثمر فى سنغافورة، وعلى مدى عقود نجح هذا المجلس فى بناء سمعة متألقة لسنغافورة فى

مختلف محافل الإستثمار الدولية ، ولجأ أحيانا إلى المبالغة فى تصوير ما وصلت إليه البيئة الاستثمارية فى سنغافورة من تقدم ،ولكنها مبالغة وجدت صدى وتحولت إلى حقائق وأصبح الصيت غنى والغنى والثروة والتقدم صيتا يجلب المزيد من الغنى لتلك الدولة الصغيرة .

ولم تعد سنغافورة الآن تجذب يد أى زبون وتقول تفضل عندنا ،بل أصبحت تنتقى وتختار. وفى الواقع فإن أحد المشكلات التى تواجه الاقتصاد السنغافورى حاليا هى التشبع " النسبى " فى حركة الاستثمارات ، وهو ليس تشبعا مطلقا فى كل المجالات ،ولكنه يدفع الحكومة الى التخطيط لجذب نوعيات معينة من المستثمرين وفى قطاعات معينة حتى يكون قدومهم فى محله وفى المكان والتوقيت الذى يحقق المزيد من الفائدة .

إضافة لذلك فإن مجتمع المستثمرين الوطنيين متسع وبالغ القوة والثراء هو الآخر ، الأمر الذى يجعل أحد مهام غرف رجال الأعمال العمل على توجيه المستثمرين السنغافوريين للعالم الخارجى ولأفضل النقاط فيه بحيث تحقق أعلى معدلات الكسب لهؤلاء المستثمرين ، وهو ما تقوم به وكالات أخرى حكومية وغير حكومية لتنظيم تصدير الاستثمارات السنغافورية للخارج، ويبلغ عدد الشركات الأجنبية الكبرى متعددة الجنسيات فى سنغافورة حوالى ٧٠٠٠ شركة ، يعمل بها مئات الالاف من السنغافوريين ، وبالنسبة للأجانب العاملين فيها فهم أيضا مصدر دخل لا بأس به من خلال ما يدفعونه من ضرائب ومن خلال ما ينفقونه من رواتبهم (الضخمة) داخل سنغافورة ليدخل فى عجلة الاقتصاد السنغافورى ،بل أن هناك مشروعات من مختلف الأنواع قامت لخدمة هؤلاء المغتربين الأثرياء ، أو بمعنى أدق "لاستعادة "أكبر جزء ممكن من مرتباتهم إلى جيوب السنغافوريين !! وكله شطارة وأكل عيش حلال ومشروع .

منافسة طاحنة :

فى مناطق من العالم ـ نعرفها كلنا ـ فإن التنافس بين الدول يقوم على أساس سياسى بحت هذه الدولة تعادى تلك نظرا لاخلاف ايديولوجى أو حدودى بينهما على سبيل المثال ، أو حتى نتيجة عدم (استلطاف) بين قيادتى البلدين ،وهذا الخلاف قابل جدا لأان يتطور فى أية لحظة الى أبعاد بعيدة تستنزف المال وتهدر الدماء الى اخر ما نعلم ، وقد يختلف البلدان فى تلك المناطق - التى نعرفها جميعا - على اقليم او جزيرة بها موارد طبيعية كالبترول مثلا ، ويتصور كلا الطرفان أن وضع يده عليها كفيل بأن يدر عليه مالا وثروة تخرجه من الفقر الى الغنى تماما كما كان الناس يقتتلون فى العصر الحجرى على فريسة أو ثمرة هى من صنع الطبيعة وليست من صنعهم هم .

وفى مناطق اخرى من العالم - أكثر حظا وحكمة دون شك - فإن التنافس يدور شكلا ومضمونا حول قضية من يستطيع أن (يفعل) أكثر ويكسب أكثر من عرق يديه ، وهذا هو الحال فى شرق القارة الاسيوية والتى ترجح ككفة ميزان بأكثر من نصف سكان الكرة الارضية، وكلنا قرأ وسمع وتحدث كثيرا عن المعجزات التى حققتها اليابان بعد الحرب العالمية الثانيةوالصين منذ نهايات الثمانينات والنمور الاسيوية منذ السبعينات وغيرها من النماذج الاسيوية المبهرة والتى كان أحدثها النموذج الهندى الذى بدأ يطل علينا مع مطلع الالفية الثالثة.

ومن يقرأ الارقام والانجازات التى حققتها تلك الدول المتقاربة جغرافيا يشعر أن هذا الشطر من العالم يعج بصليل معارك اقتصادية هائلة تجعل العمالقة فى الغرب يرتجفون من هول ما قد يحمله لهم المستقبل بل وما بدأ يحمله لهم الحاضر من تفوق اقتصادى اسيوي هائل .

وكان من حق سنغافورة تلك الجزيرة البالغة الصغر أن تشعر بأنها قزم لا مكان

له بين العمالقة الذين يخوضون معارك اقتصادية شرسة لا قبل لدولة قزمية مثلها بالدخول فيها وأن عليها أن تركن وتستلم لواقعها الصغير الضئيل .

إلا أن الامر فى الواقع خلاف ذلك على طول الخط ،فموقع سنغافورة فى المنافسة الاسيوية الطاحنة هو موقع ندية بكل المقاييس قد لاتقوم على التفوق الكمى ولكنها تقوم على التفوق النوعى الكيفى .

فسنغافورة تملك من التكنولوجيا ما لا يتوافر للكثير من الدول المحيطة بها وليس دليلا على ذلك أكثر من سعى مؤسسات صينية وهندية عملاقة لمد جسور التعاون مع نظيراتها السنغافوريات طلبا لمعرفة تكنولوجية لم يجدوها فى دول اسيوية اخرى غير سنغافورة ، ، ذلك بالاضافة الى قيام كبريات المؤسسات الصينية بالسعى لدى الحكومة السنغافورية من أجل اقناع الشركات السنغافورية ذات العلاقات الوطيدة والقوية مع مؤسسات امريكية واوروبية لكى تقوم بدور الوسيط الذى يقدم تلك المؤسسات الصينية الى الغرب بشكل أفضل يمحو من الذهن الصورة التقليدية للمنتج الصينى الذى يوصف بأنه أقل جودة وهى الصورة التى تعانى منها الكثير من الشركات الصينية، وقد أصرت سنغافورة على تتبوأ لنفسها مكانا بين العمالقة الاسيويين ،بل وأن تمتطى صهوة التنين الصينى على حد تعبير رئيس الوزراء السنغافورى السابق جو تشوك تونج والذى كان دائما يدعو الشركات السنغافورية الى عدم الخوف من هذا التنين الصينى ،وكان وما يزال يقول أن أفضل مكان لكى تحتمى من وقع أقدام التنين هو أن تحاول الصعود الى ظهره ، وكان يقصد بهذا أن التعاون مع الصين واقناعها أن مصلحتها فى التعاون مع سنغافورة بدلا من منافستها هو افضل الحلول لمواجهة المنافسة الطاحنة التى يفرضها التنين الصينى على اسيا والعالم ككل ،وهو ما نجحت فيه سنغافورة حتى الان مستغلة عددا من العوامل من بينها الروابط الاجتماعية التى تربط بين الشعبين

الصيني والسنغافوري ذي الاغلبية الصينية.

التطور التكنولوجي وعلاقاته بالتطور الاقتصادي:

عندما تكون الموارد منعدمة والبشر قليلين بينما معركة التحدى الاقتصادي كبيرة ،فإن التقدم التكنولوجي يفرض نفسه كخيار أوحد ، فبدون التقدم التكنولوجي لن يمكن زيادة الإنتاج والارتقاء به وبالتالى لن يتم النصر فى المعركة الاقتصادية.

حتى منتصف السبعينات لم تخط سنغافورة خطوات واسعة فى مجال التقدم التكنولوجي وكانت الثمانينات هي العقد الذى شهد دخول التكنولوجيا الفائقة التقدم لسنغافورة. وقد كانت المعادلة كالتالى :علاقات مفتوحة على دول العالم المتقدمة وعلي رأسها الولايات المتحدة + تكوين قاعد وطنية من العلماء والخبراء الذين يتم الاهتمام بتدريبهم وتعليمهم داخل سنغافورة وخارجها - عدم السماح بتحول المجتمع الى استهلاك التكنولوجيا على نحو سلبى يأخذ ولا يطور + ضرورة الدخول كطرف لا يكتفي بالتعلم بل يستطيع الإضافة والتطوير، وإن كان الغرب قد إهتم بتزويد بعض البلدان فى شرق آسيا بالتكنولوجيا الحديثة لأسباب سياسية كما كان الحال مع كوريا الجنوبية وهونج كونج على سبيل المثال ، فإن تلك الأسباب لم تكن قائمة بنفس القوة فى حالة سنغافورة.

فلم تكن سنغافورة يوما فى مواجهة مع عدو شيوعى يوشك أن يلتهمها كما كان الحال مع كوريا الجنوبية أو هونج كونج ، بل كانت أنظمة الدول المحيطة فى ماليزيا وإندونيسيا أنظمة صديقة للغرب أغلب الوقت .

ورغم ذلك فإن اهتمام الغرب بسنغافورة وتفضيله لها كدولة ذات ثقافة غربية وسط دول ذات ثقافات مخالفة ، كان من بين الأسباب التى دفعت الولايات المتحدة والدول الغربية فى أوروبا لتزويد سنغافورة ببعض أسرار التكنولوجيا

الحديثة منذ منتصف السبعينات ، ولكن ما يهمنا فى هذا الصدد هو الاجابة على سؤال ماذا فعل السنغافوريين بتلك الأسرار وكيف تصرفوا فيها ، ذلك أن إجابة هذا السؤال هى التى تفسر إلى حد كبير كيف وصلت سنغافورة إلى ما وصلت إليه فى مجال التفوق التكنولوجى، ولاشك أن التقدم التكنولوجى الذى وصلت اليه دولة آسيوية أخرى وهى كوريا الجنوبية قد تفوق فى بعض النواحى على سنغافورة لاسيما فى مجال الصناعات الثقيلة .

ذلك أن كوريا الجنوبية دولة تملك كل المقومات التى تملكها الدول الأخرى من سكان وموارد ومساحة ارض كبيرة ،وكان دعمها أمام المد الشيوعى الذى يهددها كوريا الشمالية ولايزال أولوية كبرى للولايات المتحدة والعالم الرأسمالى ككل ،أما فى حالة سنغافورة التى توصف بأنها دولة مصنوعة Artificial لا تزيد مساحتها عن ٧٠٠ كم مربع وسكانها عن أربعة ملايين فإن التقدم العلمى والتكنولوجى فى هذه الحالة دافع للإعجاب والتقدير، واللحاق بركب الدول الكبرى مهمة ليست بالسهولة المتصورة دون وجود إرادة قوية و تخطيط واع لاستيعاب التكنولوجيا المتقدمة وتوظيفها اقتصاديا بالدرجة الأولى، والأمر أشبه بأن أحاول اللحاق بقطار فاتنى بالفعل بعدة محطات ولا يزال يجرى بسرعة كبيرة وهو ما يعنى أن علىّ أن أجرى بسرعة أكبر من سرعة هذا القطار بكثير حتى أستطيع اللحاق به .

ويتصل بذلك أيضا الاهتمام بتدريس التكنولوجيا حيث أن سياسة التعليم فى سنغافورة (وسنتناولها بالتفصيل لاحقا) تهتم بتنمية الاهتمام بالعلوم الحديثة لدى النشء وتجعل استيعابهما شرطا للتفوق ودخول الجامعة حيث ارتبط البحث العلمى وتطبيقاته فى سنغافورة منذ وقت مبكر بالتجارة فالبحث العلمى -وهو هدف نبيل فى حد ذاته دون شك - لن يكون له معنى كبير دون أن يكون من

ورائه عائد مادى، وربما يعد المشروع السنغافورى فى مجال التكنولوجيا الحيوية مثالا جديرا بالتوقف عنده فى هذا الشأن.

فقد بدأت سنغافورة الدخول الى مجال أبحاث التكنولوجيا الحيوية فى وقت كانت دول أخرى أكثر تقدما كالولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا قد قطعت أشواطا كبيرة فيه ،وكان على سنغافورة أن تحاول- قدر المستطاع- البدء من حيث إنتهى الآخرون وكانت المشكلة أن المعرفة فى هذا المجال كانت ولا زالت من الأمور التى تحيطها الدول بسرية كبيرة شأنها شأن بقية مجالات التكنولوجيا فائقة التقدم ، وكان المدخل والهدف السنغافورى فى هذا الأمر اقتصادياً كالمعتاد، فالتوصل لأدوية جينية لشفاء أمراض مزمنة ومستعصية كالسكر والسرطان وغيرهما لا شك أنه سيدر أرباحا طائلة ،وبالتالى فإنه لا مانع من الإنفاق على الأبحاث بسخاء شديد لأن العائد شبه مضمون ، وفضلا عن ذلك فإن على سنغافورة أن تبحث باستمرار فى الوسائل التى تضمن لها استمرار التفوق النوعى على جيرانها الذين ينافسونها فى كل المجالات دون هوادة .

وبدأت الفكرة باستقدام علماء كبار فى هذا المجال وإنشاء لجنة قومية لمراعاة بعض النواحى (الأخلاقية) و التى تتمثل فى عدم تطرق الأبحاث والتطبيقات إلى الاستنساخ البشرى ،وذلك حتى لا تواجه الأبحاث باعتراض دينى داخلى خاصة من قبل المسلمين أو المسيحيين .

أما الثمار فهى لم تظهر بعد بالشكل المأمول حتى الآن بعد مضى بضع سنوات على بدء البرنامج ولكنها ستظهر حتما ما دامت هناك إرادة وتصميم،كما ظهرت من قبل فى مجالات أخرى عديدة خلال العقود الماضية بدأت بحفر الصخر وانتهت بقطف تلك الثمار اليانعة.

وبعد فإن قصة الاقتصاد فى سنغافورة هى فى الواقع قصة حياة دولة مصنوعة

بدأت والجميع يتوقعون لها الانهيار بين يوم وليلة ، لكنها استطاعت الاستمرار، ثم استطاعت النمو ، ثم بلغ بها أنها أصبحت أقوى وأغنى من العديد من دول المنطقة والعالم اللاتى يفقنها بمراحل فى كل شىء ، الموارد والبشر والثروات والتاريخ و الثقل السياسى ، ولم يكن هناك تفسير أمام محلل مثلى لتلك الظاهرة سوى القول بأنها دولة صنعت بأيديها ، ومن لا شىء تقريبا، هويتها وأوراق إعتمادها لدى العالم وقدمت نفسها فى أبهى حلة دون أن يساعدها أحد تقريبا وذلك باستخدام مورد واحد فقط وهو البشر، وحتى المساعدة التى تلقتها من الولايات المتحدة والغرب لم تكن مساعدات اقتصادية بل كانت مساعدة من طرف لطرف يستفيد كل منهما من الآخر فنشأت العلاقة كريمة قوية منطقية ومستمرة، وبالتالى فإنني أرى أن التجربة السنغافورية تتميز فى بعض الجوانب حتى على التجربة اليابانية ، فكما هو معروف أن اليابان تفخر بأنها بنت الكثير من أقل القليل ، إلا أنها فى كل الأحوال أمة قديمة لديها الأرض والبشر الكثيرون ولديها احترام العالم فى مراحل معينة وكراهيته وعداوته فى مراحل أخرى ، أى أن لها هيكل سياسى واقتصادى وتاريخي كأمة حقيقية.

أما سنغافورة فهى لم تكن دولة مستقلة حتى عام ١٩٦٥ ،وهذا التاريخ فى أجندة التاريخ هو الأمس القريب بعينه ،وعندما استقلت لم يكن لديها ما تبنى به نفسها بل كان لديها مخاطر من كافة الأنواع ، داخلية وخارجية ، واستطاعت أن تصل إلى الإنجاز ،الذى يحاول هذا الكتاب شرحه ،بمفتاح واحد جدير بالتأمل والدراسة ،وهو الاهتمام بالاقتصاد وجعله أساسا لكل حركة وتصرف تقوم به الدولة أو يقوم به الأفراد ، أساسا للسياسة و للتحرك والعلاقات الخارجية ، وللسياسات الداخلية بما فيها الاجتماعية بل وأساسا لتقرير حقوق المواطن، والسؤال هل نجح ذلك الأسلوب والإجابة يؤيدها الواقع ويؤكد أنها نعم ، رغم أية عيوب أو مشكلات أو إنتقادات من هنا أو هناك.

الفصل الرابع:

السنغافوريون

الحديث عن بلد دون الحديث عن أهلها كالحديث عن بيت مهجور ،فالناس هم الذين يصنعون المكان ويعطونه طابعه ومذاقه ، وبالذات المكان الذى نتحدث عنه وهو سنغافورة التى كانت مجرد غابة ثم أضحت على ما هى عليه الآن بفضل سواعد وعقول البشر الذين هم موضوع هذا الفصل.

نحن لا نتكلم فى السياسة :

فى العديد من بلدان العالم يمتنع الناس عن الحديث فى السياسة خوفا من أن يُقبض عليهم ويلقى بهم فى غياهب السجون والمعتقلات ، وفى بلاد أخرى بعضها فى منطقتنا العربية، يتحدث الناس فى السياسة بشراهة حتى ينتهى يومهم وهم ما زالوا يتحدثون وينظّرون ويحللون ويهربون إلى واقع آخر ينسيهم هموم القوت ومشكلات الرزق، ومن مشكلاتنا أننا لا زلنا نعتبر أن عدم القدرة على إبداء الرأي السياسى جحيم فى حد ذاتها وحرمان من حق يراه البعض من أهم الحقوق فى حياتهم حتى لو كانوا محرومين من حقوق أخرى أهم كالعيش الكريم والحق فى مستقبل أفضل.

فمن يقول نحن لا نتكلم فى السياسة يقصد غالبا أنه يريد أن ينأى بنفسه عن الحديث فى أمور قد تجر عليه المشاكل " ووجع الدماغ " الذى قد يصل لحد الاعتقال لمجرد رأى أو انتقاد تفوه به أمام البعض ممن وشوا به لدى السلطان فأمر بالقبض عليه حتى يعلن توبته ورجوعه عما قال .

إلا أن الأمر هنا فى سنغافورة يختلف جذريا فى واقع الأمر ، فعدم الحديث عن السياسة يكاد يكون اختيارا محضاً من قبل الناس بل وتقليدا من تقاليد المجتمع.

فما هى السياسة تلك التى لا يجنى المرء من وراءها سوى مشكلات أقلها إضاعة الوقت ولايجنى من ورائها فائدة سوى ربما الظهور أمام الغير بمظهر المثقف العالم ببواطن الأمور لا أكثر .

وقد حدثنى بعض كبار السن من السنغافوريين الذين عاصروا تشكيل الدولة والمجتمع فى أوائل الستينات أحاديثاً طويلة حول هذا الموضوع كان مؤداها أن السنغافوريين لم يجدوا طعم السياسة بصفة عامة حلوا ، ووجدوا طعم التجارة والاستثمار والمال أحلى بكثير وأكثر منطقية ،لاسيما أن معاركهم السياسية إقتصرت على الاستقلال عن ماليزيا ولم يكن ذلك أمرا صعبا يتطلب كفاحا وجهادا عقودا طويلة ، بل قادت ومهدت له وخدمته ظروف عديدة ، ثم القضاء على الشيوعية وهى أيضا معركة لم تستغرق سوى سنوات معدودة كان الطريق بعدها مفتوحا للتنمية والرخاء ، وفى كل ذلك لم يكن المواطن العادى طرفا رئيسيا فى الموضوع بل ظل فى حياته العادية تاركا السياسة لأهلها ومحترفيها، وقد يكون من الصعب أن نضع إنفسنا مكان السنغافوريين ، لكن الأمر قد يكون أسهل على الفهم والتفهم لو تخيلنا أنفسنا وبلادنا تعيش دون معارك تستهلك الروح والمال والوقت والجهد ، فهنا لا أرض سليبة و لا شعوب مقهورة ولا مخططات جهنمية ولا ضغوط دولية ... الخ .

ولا شك أن البعد عن السياسة للشخص العادى غنيمة بكل المقاييس خاصة إذا لم تكن هناك ضرورة للانغماس فيها ،ولا شك أيضا أن تلك الفكرة قد تبدو غريبة لأى إنسان فى وطننا العربى جُبل على الحديث أو التفكير فى السياسة التى يراها تؤثر على مجريات حياته بشكل رئيسي وجيلا بعد جيل ،

ولكنها الحقيقة هنا فى سنغافورة ، فالمال وكسب العيش -أو البقلاوة إن شئت- فى أحيان كثيرة هو الشغل الشاغل للحكومة والمحكومين، ويكفى لتوضيح ظاهرة تهميش السياسة وتعظيم الاقتصاد فى جدول اهتمامات المواطن السنغافورى أن أشير إلى أننى من خلال متابعة يومية لنشرات الأخبار ومانشيتات الصحف السنغافورية على مدى أربع سنوات كان الخبر الأول فى أكثر من ٧٠٪ من تلك النشرات إقتصاديا أو متعلقا بشكل مباشر بالاقتصاد، ومن المثير للدهشة أيضا التوظيف ،أو لنقل "التغليف" الاقتصادى، لأى موضوع من الموضوعات حتى لو كان متعلقا بأمر لا يتبادر للذهن ارتباطه بالاقتصاد كالتعليم أو حتى الرعاية الصحية .

فهناك إتفاق عام فى الوعى الشعبى السنغافورى أن الجميع لابد أن يكسبوا ويربحوا سواء كانت الحكومة أو بائع المشروبات الباردة فى كشك صغير أو المستشفى المركزى أو المكتبة، ومن الطبيعى أن تجد الآباء يتحدثون عن مستقبل أولادهم من منظور أى التخصصات الدراسية التى سيوجهونهم إليها أكثر جدوى ووظائفها أكثر ربحا على المدى الطويل، ومن يتعلم التفكير الاقتصادى لا شك يتعلم أيضا معه التفكير طويل الأمد ، فعدم التفكير فى عشرين أو ربما ثلاثين سنة قادمة لايعنى صدق التوكل على الله سبحانه وتعالى كما نظن ، بل يعنى قصر النظر وعدم القدرة على التخطيط والرغبة فى إعفاء النفس من هم المستقبل وبالتالى ملذاته، ولاشك أن رصد ظاهرة التوظيف الاقتصادى للتفكير الفردى والجماعى والرسمى فى دولة من الدول خاصة كسنغافورة ، يعد أحد المداخل الرئيسية لفهم طبيعة هذا الشعب ، ولفهم أسباب نجاحه أيضا .

إلا أن الصورة ليست كلها مثيرة للإعجاب ، وليست مبهرة على طول الخط، فقد أعجبنى دون شك وأثار تأملى الاهتمام بالتفكير الاقتصادي على

حساب التفكير السياسي البحت ،ربما بحكم انغماسي شخصيا فى دراسة السياسة والنظريات السياسية سنوات طويلة أيام الدراسة وما بعدها ثم بحكم عملى الدبلوماسى وأيضا بحكم ما تعلمته من أن أضع نفسى فى موقع الآخرين وأنظر من منظورهم ،إلا أن الإنسان كائن يملك الكثير من المواهب والمميزات التى فضله بها الخالق عز وجل عن بقية المخلوقات ، ولاشك أن تلك المواهب الفكرية والعاطفية والاجتماعية تبلى ويصيبها الجفاف تدريجيا إذا ما صب الإنسان اهتمامه طيلة حياته على الدولار والسنت وأفنى عمره ممسكا بالآلة الحسبة يحسب أرباحه وخسائره .

فالإسراف فى شىء أيا كان نفعه له مضاره ، والعاقل هو من حاول أن يأخذ من الحياة كل ما فيها من خير ولو بقدر يسير .

فمن يهتم بالسياسة ويفنى وقته كله فيها يخسر ومن يهتم بعمله فقط حتى لو كان من منطلق أكل العيش يخسر أيضا ومن يهتم بالرياضة ويقوى جسده ويترك عقله يخسر دون شك وهكذا ..ولا يعنى ذلك أن السياسة أو العمل أو الرياضة أشياء ضارة فى حد ذاتها ولكن المقصود هو الاعتدال فى الأخذ بكل شىء بقدر محسوب.

الولاء فى بلد صغير:

السنغافوريون مزيج من ثلاث أعراق رئيسية كلها هاجرت إلى تلك الجزيرة الصغيرة ، وتلك الأعراق هى المالاى والهنود والصينيون، ولا يوجد فى التاريخ القديم أو حتى الحديث شعب بذاته تميز عن بقية شعوب المنطقة باسم الشعب السنغافورى ،فتلك التسمية لم تظهر إلا فى التاريخ المعاصر عندما استقلت تلك الجزيرة الصغيرة عن ماليزيا عام ١٩٦٥ وتحولت لجمهورية سنغافورة وتحول من يسكنونها إلى ما يسمى بالسنغافوريين .

هذه الحقيقة تلعب دورا هاما فى حياة السنغافوريين فهى من ناحية تجعلهم قلقين دائما بشأن ولائهم الوطنى ،وهل هو حقيقة أم مجرد شعارات ،ومن ناحية أخرى تجعلهم يتساءلون عما إذا كانوا -كما يصفهم البعض- شعباً من المهاجرين الذين جاء آباؤهم إلى تلك الأرض ،و يمكن أن يهاجروا هم أيضا منها فى وقت لاحق إلى مكان آخر إن توافرت لهم ظروف أفضل ومعيشة أكثر رغدا ، فوطن المهاجر هو الارض التى يجد فيها أفضل الفرص للعيش الكريم .

وهو ما طرح تساؤلا ما زال يطل برأسه فى نقاشات الصفوة السنغافورية وأوساط المثقفين وهو هل سنغافورة وطن أم موطن ؟ وهل السنغافورى مستعد لأن يموت من أجل سنغافورة إن كتب عليه القتال من أجلها؟

وقد طرح هذا التساؤل من قبل فى الولايات المتحدة فى الخمسينات بعد الحرب العالمية الثانية ، التى شهدت تضحيات بشرية أمريكية غير مسبوقة، وكانت إجابة الجيل الجديد وقتها هو رفض الموت من أجل الوطن لأن حب الوطن هو جزء من حب الحياة ولأن الوطن هو وعاء الحياة ،ولا يستقيم منطقيا أن يضحى الإنسان بشىء من أجل الحفاظ عليه !! ٠٠وجهة نظر لا يمكن قبولها أو رفضها بنسبة ١٠٠٪!!

ولم تكن الإجابة فى سنغافورة بعيدة عن نفس المضمون ، فالجميع يركضون وراء الكسب والثروة ،وكما أن التوجه الاقتصادى يمثل عنصر استقرار للمجتمع يمنع جنوحه للتطرف والإرهاب بل ويدعم الولاء والانتماء له ،حيث يصبح الوطن للمواطن ذا قيمة اقتصادية تضاف إلى قيمته الاجتماعية والسياسية بل والعاطفية ، فإن هذا العامل نفسه قد يجعل المواطن يحجم أو يتردد عن التضحية بحياته من أجل الوطن حتى لو قيل له أنه يضحى من أجل أهله وأولاده، وبعبارة أخرى فإن الولاء ليس بالضرورة هو أن تكون على استعداد

لحمل السلاح والقتال فهذا تعبير عن الولاء قد لا يحدث إلا مرة واحدة فى حياة أجيال بأكملها حينما تستدعى الظروف ،فالحرب كانت ولا تزال حدثا استثنائيا فى حياة الشعوب وهناك شعوب لم تعرف الحروب منذ مئات السنين كالشعب السويسرى مثلا .ولكن هناك وجوها أخرى كثيرة للتعبير عن الولاء بشكل يومى ،فالعمل الجاد والمجتهد تعبير بليغ وصادق عن الولاء حتى لو قصدت به بالدرجة الأولى مكسبا شخصيا لك ،والضرب على الفساد ومحاربته هدف قومى لا يقل أهمية وضرورة عن الذود عن أرض الوطن ، وإراقة الدماء دفاعا عن ذرات ترابه على حد قول القائلين، ومن هذا المنطلق وبهذا المعيار ،فقد وجدتُ السنغافوريين من أكثر الشعوب ولاء وانتماء ولم أفهم يوما سببا وجيها يجعلهم على قلق من مسألة الولاء الوطنى التى يناقشونها من آن لآخر، فعملهم واجتهادهم وحرصهم على إظهار وطنهم الصغير فى أفضل صورة وأبهى حلة وحرصهم على سمعتهم ومكانتهم بين الدول ، هو آية الولاء والانتماء عند هذا الشعب الصغير فى هذا البلد الصغير الذى ضرب مثالا فى الولاء والانتماء كما ضرب مثالا فى نواحى أخرى كثيرة.

الوحدة الوطنية على الطريقة السنغافورية:

منذ نشأة الدول القومية فى العصر الحديث ، كان على العديد من الحكومات أن تجمع بين صفوف شعوبها أجناسا وأعراقا وأديانا متباينة فى كيان سياسى واحد ، ورغم كل ما يمكن أن يقال عن الاندماج الوطنى ،فإن وجود اختلافات عرقية ودينية بين من يعيشون فى بلد واحد لا شك يمثل نقطة ضعف تعمل كل الحكومات على معالجتها و التعامل معها.. ذلك أنه من بين الفرق المختلفة فى مجتمع واحد هناك دائما فريق يفوق بقية الفرق فى العدد وفى السيطرة على مقاليد الدولة ،وهو ما قد يثير مشاكل مع الفريق أو الفرق الأقل

قوة قد تصل أحيانا إلى حد الصدامات الدموية ،وقد تصل أحيانا إلى حد إنقسام الدولة إلى أكثر من جزء .

وإذا كانت الاختلافات القبلية قد قل تأثيرها فى العصر الحديث ولم تعد منتشرة على نفس القدر الذى كانت عليه منذ قرنين أو أكثر ،حتى تكاد تلك الاختلافات وتأثيراتها لا تظهر كثيرا سوى فى بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء وفى بعض مناطق وسط آسيا ، فإن الاختلافات العرقية والدينية قد تكون أكثر عمقا واستمرارية لأن العرق والدين هما من الأمور التى لا يمكن أن تذوب بكثرة التواصل بين المجموعات البشرية أو بالانغماس فى الحياة المدنية ، بل هى ملتصقة بالإنسان طيلة حياته لامفر منها ومكون أساسى من مكونات هويته، وأمام كل ما سبق كان نداء الوحدة الوطنية نداء معتادا فى الدول التى تواجه خلافات داخلية ناجمة عن تنوع عرقى ودينى داخلى فيها ، وهو نداء تحاول الحكومات أن تجعله أحد سياساتها المستديمة .

إلا أنه فى كثير من الأحيان ، فإن الحكومات لا تجد أكثر من مجرد أسباب عاطفية تحاول من خلالها ترغيب المواطنين فى مفهوم الوحدة الوطنية ،كالتأكيد على وحدة المصير بين أفراد الشعب أو الحديث عن أن الجميع شاركوا فى بناء الوطن بسواعدهم ، أو أن الجميع نشأوا من تراب الوطن وسيعودون إليه بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم ، أو تذكير المواطنين بمعارك فى التاريخ خاضها أجدادهم على اختلاف أعراقهم أو أديانهم جنبا إلى جنب ضد العدو حفاظا عن وطنهم ،وكلها دون شك مقولات لا تخلوا من الوجاهة والقدرة على الإقناع ،ولكنها تظل فى نهاية المطاف قائمة على العاطفة ، ومهددة بأغيار الدهر، وما تأتى به رياح التاريخ مما لا تشتهيه السفن .

فالنفس الإنسانية تميل دائما إلى الشعور بال "نحن" وال "هم" ، وإلى

تصنيف الناس على أساس ألوانهم وأعراقهم وأديانهم وأحيانا قبائلهم ، بل إنه ما زال هناك من يرى أن قدرته على التفرقة بين الناس على تلك الأسس السابقة دليل على خبرته فى الحياة ،وأنه قد سبر أغوارها بالقدر الكافى ، فتجد من يبالغون فى الحكم على الأفراد وفقا لأنسابهم أو أعراقهم أو أديانهم .

ومن علماء النفس والاجتماع من يرون أن هناك حاجة أساسية لدى الإنسان للإحساس باختلاف جماعته عن غيرها من الجماعات وهو ما يعد امتدادا لحاجة الإنسان للإحساس بذاته وكيانه ،لاسيما إذا كان يشعر بأنه يقارن جماعته بجماعة أدنى منها ،أو يعتقد من وجهة نظره أنها أدنى ،وفى هذه الحالة فإن المقارنة ستكون بمثابة دعم لشعوره بتميزه وتفوقه، ولا شك أن الهجرات الجماعية الكبرى تلعب دورا هاما فى تغيير تركيبة الشعوب ،وبالتالى فى خلق قضايا الاختلافات العرقية أو الدينية ،خاصة فى الدول التى كانت أو ما زالت تتقبل عددا كبيرا من المهاجرين ككندا والولايات المتحدة واستراليا و نيوزيلاندا وغيرها، وعلى سبيل المثال ففى يوم من الأيام كان الهنود الحمر هم الأغلبية فى الأمريكتين الشمالية والجنوبية ،حيث كان يقدر عددهم وقت وصول كولومبس بأكثر من خمسين مليونا ،وبعد أقل من قرن واحد فقط ،شهد هجرات مكثفة من أوروبا و شهد أيضا مذابح لم تعرف لها البشرية مثيلا، تغيرت التركيبة تماما وأوشك الهنود الحمر أو السكان الاصليون على الانقراض لتصبح الساحة مهيأة للمهاجرين الجدد الذين كانوا هم أنفسهم أعراقا متباينة من إنجليز وهولنديين ولاتين وبولنديين ثم زنوج ... الخ .

وبقيت تلك الاختلافات حتى يومنا هذا تتدخل بشكل أو بأخر فى تسيير الحياة اليومية الأمريكية رغم الشوط الكبير و الناجح الذى قطعته حكومات الولايات المتحدة خلال القرنين الماضيين لإذابة تلك الفروق.

وفى سنغافورة لم يكن الأمر استثناء ، وإن كان كل شىء قد حدث على نطاق أصغر بكثير. فقد كان السكان الأصليون ،وهم المالاى ،هم الأغلبية ،ولم يكن بالطبع بين سنغافورة وبين ماليزيا فارق من ناحية العرق والدين، وعلى الرغم من أن تواجد الصينيين كان سابقا على وصول رافلز عام ١٨١٩ ،إلا أنه كان تواجدا بسيطا للغاية ولا يكاد يُذكر ،وكان امتدادا لتواجد الصينيين فى ماليزيا واندونيسيا ، حتى جاء رافلز ونجحت تجربته فى جعل سنغافورة محطة تجارية بريطانية، ورأى من خلفه من البريطانيين فى حكم سنغافورة-أن نجاح تجربته كان بالدرجة الأولى نتاجا لجهد الصينيين أكثر من المالاي ، وأنهم هم "العنصر" الذى يمكن أن يخدم خططه وطموحاته، فبدأ فى تشجيع هجرة الصينيين إلى سنغافورة، وشهدت سنغافورة خاصة فى القرن العشرين هجرات صينية متتالية غيرت تماما التركيبة السكانية و بالتالى التركيبتين العرقية والدينية فى سنغافورة ،فأصبح الصينيون يمثلون ٢, ٧٦٪ من السكان بينما يمثل المالاى ٨, ١٣٪ والهنود ٣, ٨٪.

ووجد المالاى أنفسهم أصحاب سنغافورة تاريخا فقط ، بينما الصينيون هم أصحابها حاضرا ومستقبلا ، وانعكس ذلك على نمط الحياة السياسية والاقتصادية بشكل لا يخطئه أحد.

فالصينيون هم الأغنى ،وهم الذين يحتلون أهم المناصب فى الدولة سياسيا، وهم الذين يمسكون بزمام الحياة الاقتصادية بل والاجتماعية والعسكرية والثقافية والعلمية فى تلك الجزيرة الصغيرة، وهكذا نشأت مشكلة عرقية بالدرجة الأولى ودينية بالدرجة الثانية .فالمالاى المسلمون يشعرون أنهم محرومون من ارتقاء المناصب العليا فى بلادهم وأن الصينيين يملكون الثروة والسلطة بينما الصينيون يرون أن ما هم فيه هو حصاد تعبهم وجهدهم ، وأن

سنغافورة كانت من قبلهم جزيرة للصيادين وملجأ للقراصنة والحشرات السامة ليس إلا ، وأنهم هم بناة أى تقدم شهدته تلك الجزيرة، وألقت تلك المشكلة بظلالها على الحياة الاجتماعية والسياسية فى سنغافورة فى وقت كانت فيه الدولة فى أمس الحاجة للاستقرار ،ومرة أخرى كانت الاعتبارات الاقتصادية وسيلة هامة لإذابة تلك المشكلة أو التقليل من حدتها بشكل كبير.

ففى مرحلة الاستقلال كانت الأحزاب السياسية التى تهيىء نفسها لتولى السلطة قائمة -إلى حد كبير- على أسس غير عرقية ، إلا أن الفوارق العرقية والدينية كانت موجودة فى هذا الوقت فى المجتمع السنغافورى على أشد ما تكون ،والفواصل القائمة بين المالاى والهنود والأغلبية الصينية معترف بها عرفاً قويا ومؤثرا حتى بين الأحياء السكنية داخل المدينة فهناك حى للمالاى وآخر للصينيين وهكذا، وكان من نتيجة ذلك أن وجدت الحكومة السنغافورية نفسها عقب الاستقلال أمام مشكلتين رئيسيتين ،هما مشكلة محاربة الشيوعية التى كانت تهدد بجذب هذه الجزيرة الصغيرة لتدور فى فلك الشيوعية العالمية، ومشكلة الطائفية الحادة التى تفصم هذا المجتمع الصغير بطبيعته بشكل لا يتحمل تلك الإختلافات، ويدل ذلك بشكل واضح على أن ميلاد الدولة السنغافورية عام ١٩٦٥ لم يكن ميلادا سلسا وممهدا حتى مع كل ما يقال عن دعم الغرب لاستقلال سنغافورة عن ماليزيا ، ذلك أن انفصال سنغافورة عن ماليزيا كان يحولها من مجرد إقليم ذى أغلبية صينية داخل دولة أكبر ذات أغلبية مسلمة ، إلى دولة مستقلة ذات وضع معكوس وهو أغلبية صينية وأقلية مسلمة، وزاد من تعقيد الوضع الفقر المدقع الذى كانت تعيشه الأغلبية العظمى من الشعب السنغافورى وعدم تأكد أى سنغافورى من مصير تلك الدولة الوليدة التى لا تملك أى مقومات لإقامة دولة حقيقية ،وكان هناك إحساس بأن

ذلك الكيان الصغير يمكن أن يُبتلع في أية لحظة، هذا بالإضافة إلى أن تلك الدولة ككيان سياسي تفرض في حد ذاتها نغمة نشاذاً على المنطقة حيث أنها تنشأ ككيان علماني غير مسلم بين شقي دولتين مسلمتين كبيرتين ،إحداهما تأخذ على عاتقها الدفاع عن الإسلام في منطقة جنوب شرق آسيا (ماليزيا)، والثانية هي أكبر البلدان الإسلامية عددا في العالم (إندونيسيا)، ومن وسط التحديات والمخاطر نشأت الحاجة السريعة إلى إيجاد رابط عملي وفعال لتذويب - أو تقليل - تأثير الفوارق العرقية والدينية ، ومرة عاشرة كانت الروابط الاقتصادية هي الحل.

وتتلخص تجربة استخدام العوامل الاقتصادية في تقليل حدة المشكلات العرقية والدينية داخل مجتمع في فكرة مؤداها أنه عندما يرتبط أفراد الشعب الواحد بروابط إقتصادية عميقة ،وعندما يرتفع مستوى دخل الفرد ليكون لديه الكثير مما يخاف عليه ويخشى ضياعه في حالة حدوث قلاقل وأحداث عنف ، وعندما يشعر بأن حياته أصبحت مرتبطة بجاره وشريكه وزميله في العمل حتى وإن كان يختلف عنه في الدين والعرق ، في تلك الحالة ستوجد الرابطة الوطنية حتى لو لم تطلبها الحكومة من المواطنين ، وحتى إن بقي نوع من التفرقة بين هذا العرق وذاك في تقلد المناصب السياسية و في فرص الوصول لأعلى درجات المجد الاجتماعي والاقتصادي.

وفي تلك الحالة أيضا لن يكون هناك مساحة كبيرة للإرهاب والتطرف ليلعب لعبته المعروفة في العزف على أوتار قلوب الفقراء والمطحونين ،ولن تكون هناك فرصة كبيرة للمغرضين من الداخل والخارج لإطلاق شرارة حرب أهلية تأتي على كل شيء كما حدث في مناطق كثيرة من أفريقيا وآسيا عقب استقلالها عن الإمبراطوريات العظمى في الخمسينات والستينات من القرن

العشرين، وبذلك فإن هناك دولا لم تجد وشائج تربط بها بين الأعراق والأديان المختلفة فى صفوف شعوبها فكان الحل - سواء قصدت تلك الحكومات ذلك أم أنه جاء نتيجة التفاعل الاقتصادى الحر للمجتمع داخليا ومع العالم الخارجى- كان الحل هو إيجاد وشائج المصالح الاقتصادية القوية بين المواطنين كبديل عن وشائج الدم والتاريخ والوطن والكفاح المجيد ، وفى الواقع كان هذا البديل أكثر قوة واستمرارية .

وحتى نتعرف أكثر على الموقف العرقى والديني فى سنغافورة عند الاستقلال يكفى أن نتوقف عند أحداث العنف التى وقعت بشكل متفرق فى منتصف الستينات والتى دلت على وجود كراهية طائفية واضحة يصعب الآن أن نصدق أنها كانت يوما من الأيام موجودة فى هذا البلد الآمن المتقدم، ومهما يقال عن صرامة الحكومة فى ايقاف تلك الأعمال والقبض على مرتكبيها ، فإن - الشاهد هو أن الروابط الاقتصادية كانت هى الوسيلة الأكثر فاعلية لضمان عدم تكرار تلك الأحداث التى يمكن فى حالة انتشارها ان تهدد بقاء تلك الدويلة الصغيرة مهما كانت ثروتها، وحتى نتوخى دقة أكبر فى الحديث عن ظاهرة الاختلافات العرقية والدينية فى سنغافورة ينبغى القول أنه على الرغم من فعالية المصالح كرابط أثبت فعاليته على مدى عقود بين الأعراق والأديان المختلفة بين صفوف الشعب السنغافورى ،إلا أن الواقع ربما يؤكد أن ذلك الرابط يتسم بنوع ما من الهشاشة أو الانكشاف.

فالفوارق الدينية والعرقية أمر لا مفر منه كما سبق القول ولا يمكن للإنسان أن يغير لونه أو دينه ببساطه ،وحتى لو فعل فإنه سيجد من يفرقون بينه "كعضو منتسب" وبين من ولد يحمل هذه الجينات أو تلك ،أو هذه الديانة أو تلك ، ويبدو أنه ما زال أمام البشرية مراحل زمنية طويلة للتخلص من بقايا العنصرية،

ومن خلال معيشتى فى سنغافورة يمكننى القول بأنه على الرغم من وجود درجة عالية من التسامح الدينى والعرقى ،لاسيما لدى الحكومة ولدى أوساط الصفوة والمثقفين ،إلا أن هناك نوعا من التمييز الواضح أو الخفى بين الهندى والصينى أو بين المسلم والصينى (لصالح الصينى فى كل الأحوال بالطبع)، ويظهر هذا التمييز حتى فى طريقة التعامل فى المتاجر ،وهو ما لمسته مراراً عندما كنت أذهب لشراء أى شيء ،ويكون هناك عميل آخر صينى فتجد البائع أو البائعة يتحدث معه بشكل مختلف ويظهر له احتراما واضحا يفوق ما يظهره لى، أو حتى يقدمه علىّ فى الدور .

وبالطبع لم يكن لى أن أصمت على حقى حتى ولو كان فى شأن بسيط كهذا، وفى كل مرة كان رد الفعل حاسما من جانبى ، وفى كل مرة كنت أجد تحولا كبيرا من جانب البائع أو مقدم الخدمة فى بنك أو متجر عندما يكتشف أنني أجنبى ، وهذا ما يعنى أنه كان يعتقد فى البداية أننى مالاى أو هندى مثلا وذلك بحكم تشابه ملامحنا كعرب مع ملامح المالاى ،وأننى بالضرورة معتاد على تلك المعاملة التفضيلية الخفية ، وبالطبع لم يكن صعبا على أن أثبت له أو لها خطأهم الفادح فى التفرقة فى المعاملة بين زبائنهم، وفى بداية معيشتى فى سنغافورة اعتقدت أن ما أشعر به ما هو إلا حساسية من شخص أجنبى مثلى لما يحدث حوله فى بلد غريب عنه تماما ، وذلك إلى أن تأكدت من تلك الظاهرة وأكدها لى بعض الأصدقاء الصينيين الذين ينزعجون هم أيضا من تلك التفرقة المغلفة ، ويرونها غير متفقة مع الحياة فى مجتمع متحضر .

ثم جاءت حادثة فاصلة أثبتت وجود نفور من نوع ما بين الأعراق والأديان فى سنغافورة ،و كانت تلك الحادثة هى إلقاء القبض عامى ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ على متهمين من أعضاء الجماعة الإسلامية السنغافورية كانوا يخططون للقيام

بعمليات إرهابية ضد مصالح وطنية وأمريكية وأجنبية فى سنغافورة ، وكانوا كلهم من المسلمين المالاى .

وعلى الرغم من الطبيعة الجنائية للحدث ،وبالرغم من تأكيدات كافة المسئولين الحكوميين على ضرورة ألا يثير هذا الحدث أية مشاعر غير طيبة بين طوائف الشعب المختلفة، إلا أنه كان من الواضح لكل من عاش فى سنغافورة خلال تلك الفترة كيف كان هناك تعبير صامت ـ وأحيانا ناطقا ـ عن كراهية أو لنقل التحفظ على المسلمين، وفجأة أصبح جيرانى لا يلقون عليّ التحية كما اعتادوا ،وأصبحوا لا يرسلون أولادهم للعب مع أولادى وحفلت الصحف بقصص - لم أتأكد من صحتها - عن أشخاص عبروا علانية عن كراهيتهم للمسلمين بل وتعمدوا الإساءة لهم ككل لمجرد أنه ظهر من بينهم من خطط للقيام بأعمال تضر مصالح الدولة وبالتالى أقوات وأرزاق مواطنيها.

ووصل الأمر لتسريح بعض الشركات للعاملين المسلمين فيها أو لرفض تعيين موظفين جدد لمجرد أنهم مسلمون ،وحتى أتوخى الدقة فيما أرويه قدر استطاعتي ، فإنه يجب القول أيضا بأن تلك المشاعر كانت سحابة عابرة لم تستمر طويلا ،ولم يمض وقت طويل حتى عادت الأمور لطبيعتها لأسباب عدة كان على رأسها- مرة أخرى ـ المصالح الاقتصادية وأكل العيش الذى كان العمل الحاسم الذى أقنع الجميع بالعودة الى ما كانوا فيه من تعاون وتكاتف.

إحترام التنوع العرقى والدينى :

وهى سياسة أخرى موازية لسياسة الوحدة الوطنية انتهجتها الحكومة السنغافورية وهى جديرة بالاحترام والتقدير ، ففى الوقت الذى تتجه فيه كل سياسات الحكومة إلى تحقيق التواؤم بين الأعراق والأديان المختلفة فإن سنغافورة بحكم الدستور بلد علمانى لا دين له ، وهو بلد يحترم -بحكم

الدستور أيضا ـ كل الأديان ويتعامل معها على قدم المساواة دون تفرقة ودون الدخول فى تفاصيلها أو حتى مناقشتها أو السماح بمناقشتها حتى لا يفتح باباً لا يمكن سده وقد تدخل منه ريح عاتية .

و الحكومة السنغافورية فى نفس الوقت الذى تعمل فيه على إذابة الاختلافات العرقية والدينية تشجع الجميع على الشعور بهويتهم وإحترامها ، فالمسلم له أن يفخر بأنه مسلم و له أن يتمسك بكافة تقاليده الدينية والاجتماعية ويتعلم لغته الأصلية ويحتفل بأعياده و يدعو الآخرين من غير المسلمين للمشاركة فيها إن أراد ، ونفس الأمر بالنسبة للجميع من بوذيين وهندوس وتاويين وغيرهم، وفى الوقت الذى لا يوجد فيه دراسة دينية فى المدارس الحكومية الرسمية ، فإن من حق الجميع فى دور العبادة الخاصة بهم أن ينشئوا مدارس لتعليم الدين والثقافة الدينية طالما لا يمس ذلك أحدا ولا يضر بالصالح العام بأى صورة، وهناك أيضا تشجيع كبير وواضح لإظهار كل طائفة لمظاهر ثقافتها الأصلية سواء اختلط ذلك بتعاليم دينية أو لا، وبالطبع فإن المظاهر الثقافية الاكثر ظهورا فى سنغافورة هى مظاهر الثقافة الصينية بحكم انتماء الأغلبية لأصول صينية إلا أن ذلك لم يطمر أو يمحُ الثقافات الأخرى، وترى الدولة أن هناك حاجة ملحة لدى كل إنسان لكى يشعر بذاته وهويته وهو ما لن يتحقق دون دين وثقافة ودون انتماء ثقافى حضارى، وليس سياسى بالطبع ، للبلد الأصل الذى جاء منه الآباء والأجداد، لاسيما وأن سنغافورة لا توفر بذاتها ثقافة أو حضارة أو تاريخا أو لغة خاصة بها ،وإنما هى بوتقة لمهاجرين وعليها أن تحسن صهرهم ودمجهم بشكل إيجابى دون محو هويتهم التى من المقبول فيها التنوع والاختلاف ، المهم أن تسود المجتمع روح تقبل الاختلافات وتفهمها حتى تسير الحياة للأمام وليس للخلف.

المسلمون فى سنغافورة :

وفى هذا الموضع أرى أن دفة الحديث قد ساقتنا الى تناول وضع المسلمين في سنغافورة ، وهو موضوع اقترحه عليَّ أكثر من موضع فى هذا الكتاب كان من الممكن أن أناقشه فيه ولكننى إخترت الحديث عنه فى هذا الفصل بالذات نظرا لأن وضعية المسلمين فى سنغافورة هى أحد نتائج السياسة السنغافورية فى تحقيق الوحدة الوطنية حيث كان المسلمون وما يزالون هم أكثر طائفة فى الشعب السنغافورى حساسية ووضعيتهم هى من أكثر الأمور دقة لاسيما فى ضوء وجود سنغافورة كدولة غير مسلمة فى محيط مسلم يعج بما يزيد على ٢٥٠ مليونا من البشر فى كل من إندونيسيا (جنوبا) وماليزيا (شمالا) .

بداية كمسلم يجب على أن أذكر وأشيد فى هذا الصدد بمدى التسامح الديني الذى لمسته وشهدته من الحكومة السنغافورية تجاه المسلمين والذى يكمل - الصورة الجميلة التى رأيت عليها المسلمين أنفسهم فى سنغافورة من حرص على الدين و تسامح وتفهم حقيقى لماهية الإسلام .

وسماحة المسلمين فى جنوب شرق آسيا قضية معروفة تحدث عنها الكثير من الدعاة والمفكرين الإسلاميين عبر العصور. فهؤلاء القوم الذين دخلوا الإسلام عن طريق الدعوة فقط ،وكان دخول أجدادهم الإسلام عن طريق الإقتداء بالتجار المسلمين من اليمن وغيرها الذين دأبوا على حمل تجارتهم عبر جنوب الهند وماليزيا واندونيسيا والبلدان المجاورة من و الى الصين فعرفهم الناس وأعجبوا بسماحة دينهم فدخلوا فيه تترى حتى أصبحوا أكبر تجمع للمسلمين فى العالم، وكانت سنغافورة بالطبع جزءا من ماليزيا وجرى عليها ما جرى على ماليزيا واندونيسيا ، إلا أن الهجرات الصينية التى تمت لأسباب سياسية بدءا من القرن التاسع عشر ،وغيرت تركيبة السكان جعلت من

سنغافورة بلدا علمانيا لادين له من الناحية الرسمية والدستورية، ولكن فى الحالة السنغافورية كانت العلمانية من جانب الدولة لم تكن إعلانا للتخلى عن الأديان بقدر ما كانت إعلاناً للحياد بينها على اختلافها مع الاحتفاظ باحترام كبير لكل دين دون تفرقة ، وفيما يتعلق بالمسلمين فإن هناك قدر كبير من الاحترام لشعائر دينهم ،وقد كفلت الحكومة قدرا كبيرا من الحرية للمجلس الاسلامى فى رعاية شئون المسلمين المهم ألا يتعارض ذلك مع النظام والقوانين والأمن ومصالح الشعب والدولة، وهكذا اكتسبت أمور المسلمين فى سنغافورة قدرا كبيرا من التنظيم لا يوجد فى الكثير من البلدان المسلمة .

فتنظيم الحج والعمرة على سبيل المثال فى سنغافورة نموذج يحلم أى مسلم بأن تحتذي به الدول الإسلامية جميعها ،فكل شىء يتم تخطيطه قبل موسم الحج بوقت كاف ويصل الأمر لعقد دورات تدريبية للحجاج الذين يؤدون الفريضة للمرة الأولى وكل حاج يتحرك من سنغافورة وهو يعلم تماما خط سير رحلته بكل مراحلها وتوقيتاتها وبمنتهى الدقة .

كذلك فى مسائل الإشراف على المساجد وتنظيم عملها ، فالمسجد فى سنغافورة مؤسسة لها مكانتها وميزانيات المساجد عامرة بفضل تبرعات المسلمين التى تتولى الدولة نفسها الإشراف على خصمها ضمن نظام التأمينات الاجتماعية ، وأنشطة المساجد فى تحفيظ القران وتعليم اللغة العربية وجمع التبرعات وإرسالها للدول الفقيرة وجمع الزكاة والصدقات بل وتنظيم صلوات العيد كل ذلك نماذج رائعة لكل الدول الإسلامية .

وفى دولة أغلب سكانها من غير المسلمين تثور قضية العثور على الطعام الحلال وغير الحلال ، وفى كل الدول غير المسلمة فإنك غالبا تطبق قاعدة أن طعام أهل الكتاب حلال للمسلمين وتكتفى بالسؤال إن كان فى الطعام لحم

خنزير أو خمور حتى تتجنبه، لكن الأمر فى سنغافورة أيسر وأكثر حسما فى نفس الوقت فكل ما عليك هو ألا تأكل فى مطعم أو لا تشترى طعاما من السوق إلا إذا كان عليه خاتم المجلس الإسلامى السنغافورى الذى يقوم بمراقبة كل المطاعم التى تعلن نفسها مطاعم حلال (ومن بينها مطاعم الوجبات السريعة) وذلك للتأكد من أنها تلتزم بتقديم الطعام الحلال والمذبوح وفقا للشريعة الاسلامية. وكذلك يضع المجلس هذا الخاتم على المنتجات الغذائية الحلال فى السوبر ماركت والتى يلتزم منتجوها بذلك، وبهذه الطريقة فإنه لا لبس ولا شك بل كل الأمور محددة ومنظمة كما لو كنت فى أى بلد إسلامى وربما أفضل .

طباع الناس :

فى سنغافورة كما هو الحال فى كل جنوب شرق آسيا أنت فى قلب التقاليد الآسيوية والتى طالما تحدث عنها كل من زار المنطقة ، الأدب والابتسامة والأمانة فى التعامل ٠٠٠الخ .

إلا أن ما أوضحه الكثيرون عن تلك الابتسامة والأمانة والأدب نادرا ما تطرق إلى الأسباب الكامنة وراء ذلك الأسلوب فى التعامل والواقع أن هذه القضية تعد من أعقد الموضوعات شرحا .. لماذا يتسم الآسيويون بالأدب والذوق فى تعاملهم أكثر من شعوب أخرى كثيرة؟ ولماذا يشعر الجميع أن هذا الأدب ليس نابعا من قلوبهم فى الكثير من الأحيان وإنما هو سلوك ظاهرى فى أغلبه؟.

بداية ينبغى التأكيد أن الديانات الآسيوية -وهى ثقافات أكثر منها ديانات بالمعنى الذى يفهمه أتباع الديانات السماوية - تحاول أن تصبغ الجميع بصبغة من التسامح الذى إن لم تكن مقتنعا به فعليك أن تتبعه بأى وسيلة حتى تأمن شر انتقام القوى السماوية (أيا كان مسماها عندهم) ، وتلك الفكرة بالطبع لا

يختلف عليها أى إنسان مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا فكل الاديان حضت على حسن المعاملة حتى نسى أتباعها ما ذكروا به .

إلا أن الأمر فى آسيا وخاصة فى شرقها وجنوب شرقها ظل جيلا بعد جيل يتوارث مسالة الالتزام بحسن معاملة الآخرين ،خاصة إن كانوا أكبر سنا أو أكبر قدرا أو ينتظر من ورائهم ربحا ومالا فهم فى هذه الحالة زبائن والزبون ينبغى احترامه لان احترامه من باب احترام الرزق أو - كما نقول عندنا - اشكر النعمة حتى تضمن استمرارها فإن أهنت النعمة زالت عنك ، والمؤكد أن تلك الظاهرة الجميلة قد بدأت فى الانحسار تدريجيا لاسيما فى الدول الأكثر قربا من نمط الحياة الغربية فى آسيا كسنغافورة ، وأصبح المرء يشعر أنه قد يلقى معاملة حسنة طالما كان زبونا مؤكدا أو محتملا ، ولكنه يحرم منها فورا إن ثبت أنه لن يشترى أو أنه لن يكون مصدر نفع، وللحق فإنه وبصفة عامة، فإن حسن التعامل يمثل ظاهرة عامة فى المجتمع السنغافورى وقد قضيت أربعة سنوات لم أشهد فيها مشاجرة طريق واحدة لأى سبب من الأسباب ولم أشهد فيها شخصا يعنف شخصا بصوت عال فى مكان عام سوى مرتين أو ثلاث فقط ولكننى من ناحية أخرى كنت ألمس فى كثير من الأحيان أن الأدب والذوق إنما تفرضه دواع خارجية سواء وظيفية أو اجتماعية وأنه فى أغلب الأحوال ليس نابعا من القلب، ولكن من يهتم بذلك .... فليكن الأدب أدبا متصنعا أو من وراء القلب أو حتى من جانبه المهم أن الجميع لا يتجاوزون فى كلامهم ولا يهينون بعضهم البعض حتى لو كان الدافع وراء ذلك الأدب هو مصلحة قريبة أو بعيدة ،وحتى لو كان الدافع هو تعليمات المدير أو تعليمات الأب أو المدرس فليكن ، المهم أن يكون الأدب هو القاعدة وقلته هى الاستثناء ، وليس العكس ، وألا تكون إساءة الأدب دليلا على الشجاعة والإقدام كما يظن البعض .

ذكاء فردى أم جماعى ؟

وتلك قضية أخرى ينبغى التعرض لها قبل اختتام فصلنا هذا ، وهى قد تبدو حديثا ليس فقط عن سنغافورة ولكن عن جنوب شرق آسيا بل وآسيا كلها .

ففى سنغافورة -كما فى كل النمور الآسيوية ـ نجح البشر فى تحقيق معدلات نمو غير مسبوقة فى التاريخ نقلوا بها أنفسهم وبلادهم من الفقر الى الغنى فى غضون عقود معدودة على أصابع الكف الواحد ،وبهر أولئك القوم جميع العالم بما أظهروه من قدرة على العمل والإنتاج ومن القدرة أيضا على استيعاب كل ما هو جديد ، ثم تقليده مرحليا ثم المشاركة فى تطويره وانتهاء فى بعض الأحيان بالتفوق على مبتكريه الغربيين عادة - والاستحواذ على السوق وسحب البساط من تحت أرجلهم ، واعتقد البعض أن هؤلاء القوم أذكى من غيرهم ثم ما لبث الجميع أن اكتشفوا أن الآسيويين هم أشخاص عاديون من ناحية الذكاء ،وذلك على أفضل الفروض، وظل التساؤل قائما ، وهو إن كانت تلك الشعوب قد حققت تقدما طفريا ، وكان هذا التقدم كما هو واضح قائما على أساس قدرات بشرية أكثر مما يقوم على أساس موارد طبيعية وهبات سماوية من بترول أو ذهب أو غيره ، فكيف يمكن أن يكونوا أشخاصا عاديين، وإجابة السؤال كما رأيتها من خبرتى المحدودة فى هذا المكان من العالم -وقد توصلت إليها وتوصل لها غيرى أيضا ـ هى أن لدى الجنس الآسيوى ذكاء يمكن وصفه أو تعريفه بالذكاء الجماعى ، فهم أكثر قدرة على الإنتاج والتفوق إذا عملوا معا وتم وضعهم فى إطار إنتاجى أو أى إطار إقتصادى جماعى .

فى هذا الحالة فإن محصلة جهدهم تتضاعف وتفوق أى جهد جماعى لأى مجموعة أخرى من البشر، ولذلك ثبت علميا أن إنتاج شخص يابانى واحد مثلا قد يقل عن إنتاج شخص آخر من أى مكان آخر من العالم لو عمل كل

منهما بمفرده ، أما إذا عمل عشرة من اليابانيين فى خط إنتاج سيارات مثلا أو فى تصميم سيارة جديدة ، فسيكون الناتج كما وكيفا وسرعة متفوقا بكثير على ناتج عشرة أشخاص من نفس العمر والتعليم والظروف من شعوب أخرى كثيرة، وقد يرى البعض أن تلك نظرة عنصرية ، ولكنها ثبتت بالفعل علميا وثبت معها أيضا أن ذلك لا يرجع إلى جينات عرقية تميز الألمان عن بقية البشر ، كما إعتقد النازيون قديما ، أو تميز اليابانيين عن العرب مثلا ولكنها فروق نشأت من وجود سياق إجتماعى إقتصادى بالدرجة الأولى يطرح بقوة على كافة أفراد المجتمع منذ سن مبكرة صيغا تعاونية كأمور حتمية لا بديل لها للتعامل بينهم وبين غيرهم ، وتلك الصيغ تبدأ من فصول الحضانة وحتى أماكن العمل ،ويرى فيها الإنسان ذاته من خلال الجماعة وتذوب فيها أنانيته ورغبته فى التفرد والظهور على حساب من حوله ، وتحل الجماعة محل الفرد والإيثار محل الأثرة، ويصبح لا معنى لنجاح الإنسان عندما تفشل جماعته التى قد تكون فصله الدراسى أو شركته أو جيرانه أو عائلته، وهناك شرط واحد لكى تكتمل تلك الصيغة وهو ألا يكون من بين أفراد تلك الجماعة من يتواكل على غيره ويترك له عبء العمل، ومن هنا نشأت نظرية الذكاء الجماعى او الكفاءة الجماعية التى تجعل من الفرد لبنة فى بناء وترسا فى ماكينة وهو أسلوب ،وان كان له منتقدوه الذين يرون فى ذلك الأسلوب الجماعى للحياة والعمل وأداً للإبداع التى تقوم على إحساس الإنسان بفرديته ، ولكنه دون شك الأسلوب الامثل للحياة المعاصرة التى ترى الجهد الجماعى أساسا للنجاح .

فقديما كان فيلو وتوماس أديسون والأخوان رايت يجلسون مع أنفسهم وآلاتهم وأوراقهم ليخرجوا على العالم باختراعات عظيمة هى نتاج عملهم وحدهم أو على الأكثر كان لهم مساعد أو مساعدان ، أما الآن فإن أى اكتشاف

فى مجال العلم يأتى نتاجا لعمل فريق ضخم يكون على رأسه العالم المبدع الذى يكون أول من يعترف بفضل فريق العمل على الوصول لاكتشافاته واختراعاته ، ولا أنسى يوم أن فاز العالم المصرى أحمد زويل بجائزة نوبل فى الكيمياء أنه قال فى أول تصريح له أنه يهدى الجائزة لفريق العمل الذى ساعده والذى يزيد عدده على ١٠٠ من المساعدين قال أن لولاهم لَمَا وصل لِما وصل إليه من اكتشافات، نفس الأمر فى عمليات الصناعة والانتاج السلعى والخدمى، ففى الماضى كان فورد بمساعدة حفنة قليلة من العمال يصنعون سيارة ويستغرقون فيها شهورا ،أما الآن فإن إنتاج السيارة يأتى نتيجة جهد جيش من العمال والمهندسين والآلات المعقدة ولذلك فهم لا ينتجون سيارة واحدة بل عشرات فى اليوم الواحد ، وعودة لسنغافورة فإن الانجاز السنغافورى يصعب النظر إليه بمعزل عن نظرية الجماعية فى الأداء والتى تميز السنغافوريين كما تميز العديد من الشعوب الآسيوية ،والشعوب المتقدمة بصفة عامة ، ويمكنك أن تلمسها -دون الكثير من الاستثناءات- فى كل مكان حولك فى المدارس والشوارع والمصانع وشركات العمل.

نادرا ما تجد من يحاول إلقاء الجهد على غيره بل إن من يفعل ذلك يكون أمام الجميع فى الغالب وفقا لثقافتهم قد اعترف بفشله وبأن غيره أقدر منه على أداء العمل ، ولذلك تجد تنافسا بين أفراد الجماعة الواحدة على الاضطلاع بالشق الأصعب والأكثر حساسية من العمل الذى يتم بالطبع فى تلك الحالة بسلاسة أكبر وكفاءة أعظم ويكون النجاح أكثر لذة وأطول استمرارية ، والخلاصة أن النجاح والتقدم ليس صدفة ويستحيل أن يسير التقدم على قدميه ليقابل الكسالى .

الفصل الخامس:

الحياة فى جزيرة صغيرة عظيمة

لاشك أننا جميعا شاهدنا يوما ما فيلما أو قرأنا رواية أبطالها يجدون أنفسهم لسبب من الأسباب وقد إنقطعوا عن العالم فى جزيرة فى عرض البحر، وانهم قد تركوا حياة المدنية والتقدم التى كانوا فيها ،ليعيشوا فى تلك الجزيرة حياة بدائية يأكلون من الأشجار ويصطادون الحيوانات ويلبسون جلودها .

وحتى مئات قليلة من السنين مضت ، كانت سنغافورة إحدى تلك الجزر التى يقطنها من النمور والثعابين والقرود ما يفوق من يقطنها من البشر الذين يجدون صعوبة كبيرة فى إعمارها ،نظرا لكثافة غاباتها وما تحويه تلك الغابات من المخاطر المتنوعة، والآن فإن الحياة فى سنغافورة لا تمت بصلة لهذا الواقع البدائى ، فالحضارة والتقدم ملء السمع والبصر فى كل شىء والتنافس الحضارى مع أرقى عواصم العالم فى كافة المجالات جعل تلك الجزيرة تتحول الى مدينة كبيرة يعيش فيها نحو سبعة ملايين فرد ما بين مواطن ومقيم وسائح ،وتبدو كما لو كانت عاصمة لدولة عظمى رغم أنها فى الواقع "المدينة الدولة" كما يسمونها ، فلا أقاليم ولا ريف ولا صحارى ولا جبال ،وبالتالى فلا توجد موارد طبيعية من أى نوع سوى المورد الطبيعى الأعظم وهو الانسان .

وفى الصفحات القادمة أحاول أن أسرد ،بالإيجاز فى موضعه والإطناب فى

موضعه ،جوانب الحياة السنغافورية كما خبرتها أربع سنوات ،تعمدت فيها أ أكون مجرد أجنبي قادم من بلد بعيد يملك حضارة الالاف من السنين، يكتفي بإبداء التعجب والاعجاب مما شاهده في تلك الجزيرة الصغيرة ،ثم لا يلبث أن يغادر ناسيا ما رأى ومكتفيا بأن يقول : والله إنها لبلد جميلة ،و يمر على ما رأى مر الكرام دون تعمق في الأسباب واستقاء العبرة مما تراه العين وتسمعه الأذن ويعيه العقل، وبطبيعة الحال فربما يجد القارىء تنوعا كبيرا في أبواب هذا الفصل ولكنها على تنوعها تتركز حول فكرة واحدة وهي أن سنغافورة بلد صغير يعيش حياة ثرية ومتنوعة بكل المقاييس ، وأن تلك المدينة الصغيرة فيها من الحكايات والدروس والأفكار ما يفوق بكثير حجمها الصغير.

المكان ..أنظف مدن العالم :

في الواقع ، فأنا لم أزر كل مدن العالم ولا-حتى ربعها ، ولكنني لمست منذ اللحظة الأولى لي في سنغافورة أنني في بلد بالغ النظافة يقولون عنه أنه وفقا للتصنيفات العالمية يعد الأنظف على وجه الكرة الارضية ، بلد يشد انتباه وينتزع إعجاب حتى أولئك الذين تمكنوا من زيارة أغلب بلدان العالم .

وبغض النظر عن مدى دقة ذلك الوصف ،فالثابت هو أنك في سنغافورة تشعر وكأنك في مكان يحرص الجميع على نظافته الشديدة ، كأنه بيتهم الشخصي وكأن الشارع هو حجرة المعيشة الخاصة بهم لا يسمحون لأحد بأن يلطخها أو يلقي فيها بعقب سيجارة، والنظافة سمة حرصت سنغافورة على أن تكون أحد مصادر شهرتها وذلك منذ أن بدأ "لي كوان يو" رئيس الوزراء السنغافوري الأسبق بنفسه حملة النظافة الشهيرة في الستينات ليحول سنغافورة من جزيرة ذات رائحة كريهة تتراكم فيها كل أنواع المخلفات بل والأمراض، إلى أنظف مدن العالم على الإطلاق .

وواقع الأمر أن تنظيف البيئة الاستوائيـة البالغة الرطوبة ليس أمرا سهلا على الإطلاق ، فالأمطار شـبه المستمـرة على مدار العام (حـوالى ١٥٠ يوما من أيام السنة هى أيام ممطرة فى سنغـافورة) ومع الرطوبة العاليـة فإن المخلفات تتـعفن بسرعة بل أن المباني والطرق أيضا تتقادم بـسرعة أكبر ، بالشكل الذى يـجعلها تحتاج لصيـانة على فترات أقصر مما تحتـاجه فى البيئة الباردة أو المعـتدلة أو حتى الصحراويـة، ولذلك لم تكن النظافة مهمـة سهلة فى بيئة بهـا كل العوامل التى تقاوم تلك النظافة ، إلا أن التـصميم والجدية وعدم التراخى فى سـياسة النظافة الشاملة عبر سنوات طويلة جعل من سنغافورة أكثر نظافة من كل مدن العالم .

ومن النظافة تنبع كـافة أشكال الجمال والأناقة ، ويبـدو الجميل اكثـر جمالا حتـى لو لم يُنفق عليه الكثـير من المال ، وبسـبب النظافـة قبل أى عامـل آخر ، أصبـحت سنغافـورة بلدا جمـيلا، وللحـفاظ على هذا المبدأ فرضت الحـكومة غرامة ألف دولار على من يلقى بورقة فى الطريق وتتصـاعد تلك العقوبة كلما زادت المخلفات الملقـاة ، وبالنسبة لـى ، فأنا لم أر طوال أربع سنوات موقـفا تم فيه تطبيق تلك العقوبة علـى أى أحد، وربما كان ذلك ببساطة لأننى لم أر أحدا يلقى بأى شيء على الارض على الاقل بشكل علنى .

كـذلك منعت الحكومة دخـول اللبـان الى سنغافـورة أو بيعـه حرصـا على النظافة حـيث أن إلقاء اللبـان على الارض بعد مضـغه لا يظهـر بوضوح وقت رميه ولكنه يلتصق بعد ذلك بكل شيء ويسبب إتساخا تصعب ازالته .!

لذلك فإنك إن إخترت الجلوس على أي رصيف أو أية أرضية فى أى شارع من شوارع سنغافورة أو مبانيها وحـدائقها فإننى أضمن لك أو ملابسك ستظل على نظافتها ولن يعلق بها أى شيء .

ولهذه الدرجة وأكثر فإن النظافة فى سنـغافورة كانت عنوانا قوميا لدولة لا

تملك ـ كما قلنا ـ تاريخا عريضا ، ولكنهـا تصنع بمثل تلك المبادىء وغيرها حـاضرا مـجيـدا، وقبل الحـديث عن الأمـاكن فقـد يكون من المناسب ولو فى عجـالة خاطفة- عرض الـديموجرافية العـامة لجزيرة سنغـافورة وشكل الأرض وتوزيع السكان وأنشطتهم.

كمـا ذكرنا فإن مـساحة سنغافـورة تبلغ حوالى ٧٠٠كم مـربع ويعيش على أرضهـا أقل من أربعـة ملايين من المواطنين ، والارض هنا صـغيـرة ولكنك لا تشعـر بذلك مهـما أكـده لك الآخرون ، فعـلى قدر الزحام الموجـود فى بعض المناطق فهناك نوع من الرحابة فى مناطق أخرى.

ويمكنك مشاهدة مساحات كبيرة نسبيا من الأرض غير مستغلة فى الأطراف الشمـالية والشرقـية من الجزيرة وهى تـصلح لامتدادات عـمرانية وصناعـية فى المسـتقـبل، وقلب أو وسط المدينة فى سنغـافورة يـقع فى أقصى الجنوب حيـث كانت أولى الموانى التاريخية للجزيرة ،وبمحاذاة الساحل الجنوبى للجزيرة تنتشر المجـمعـات السـكنيـة والاماكن السـياحـيـة شرقـا (منطقـة الساحل الشـرقى و تشانجى) والمناطق الصناعية غربا (جورونج)، وكلما اتجهنا شمالا نجد السيطرة للاماكن السكنية فى مناطق (بوكـيت تيما) و(تشوا تشو كـانج) و(أنج مو كيو) وحـتى أقـصى الشـمـال فى (وود لاندز) حـيـث تتـسع رقـعـة الأرض وتكثـر الاراضى الفضاء ويقل عـدد السكان، وإذا إتجهنا غربا وجدنا السـيطرة للأماكن الصناعـية ،والتى تبلغ ذروتـها فى الجنوب الغـربى للجـزيرة فى المنطقة المقـابلة لجزيرة جورونج التى تعد القلعة الصناعية لسنغافورة.

أمـا أقـصى الشـمـال فهـو يكاد يكـون مخـصـصـا للاغـراض العـسكرية والمحميات الطبيعية .

ولم يكن من الأسهل اخـتيار أماكن مـحددة لأتحدث عنها فى كـتابى هذا،

فكل الأماكن جميلة فى هذا البلد الصغير ،و ما قد أراه الأجمل قد يرى غيرى أن هناك أجمل منه والناس فيما يعشقون مذاهب . وعموما فقد إخترت لك عزيزى القارىء الأماكن التالية والتى كانت الأقرب إلى نفسى وعقلى خلال فترة إقامتي فى سنغافورة :

١-شارع أورشاد Orchard Road :

كيلومترين من البهجة و(الونس) ..شارع أورشارد هو الشارع الرئيسى فى وسط مدينة سنغافورة وهو المزار الرئيسي لأغلب السياح وهو "شنزيليزيه" جنوب شرق آسيا كلها مجمعات تجارية عملاقة على جانبى الطريق كل منها يعمر بعشرات المحلات التى تبيع كل شىء ،بما فى ذلك أرقى الماركات العالمية للملابس والإكسسوارات والإلكترونيات ، نافورات٠٠ حدائق غناء ، أماكن للراحة وأماكن للسهر ٠٠مطاعم ومقاهى تنافس مقاهى باريس ولندن فى أناقتها ولو لا الجو الحار الرطب لتفوقت عليها .

يرجع تاريخ شارع أوشارد إلى نهايات القرن التاسع عشر عندما كان يقع على أطراف المنطقة المعمورة من المدينة والتى كانت تتركز فى جنوبها ، إلا أن بدء ظهور أماكن الشراء والتجارة فيه يعود فقط لأوائل الخمسينات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، والآن يعد أورشارد من أشهر أماكن الترفيه والشراء فى قارة آسيا كلها وهناك العديد من الزائرين لسنغافورة لا يتسع وقتهم الا لزيارة هذا الشارع الذى يعد المشى فيه فى حد ذاته متعة لولا حرارة الجو ورطوبته العالية ، وهو ما يمكن التغلب عليه عن طريق قضاء معظم الوقت فى المجمعات التجارية المكيفة على جوانب الشارع والتى يتصل جزء كبير منها ببعضه البعض عن طريق ممرات تحت أو فوق الارض.

ويوجد فى شارع أورشارذ والشوارع المتفرعة منه ما يزيد على ثلاثين فندقا

وعشرة مجمعات تجارية أشهرها NGEE ANN CITY والذى يضم فرعا ضخما لمحلات TAKASHIMAYA اليابانية الشهيرة ، وإن كنت من محدودى الدخل مثلى فيمكنك فقط فى هذا المجمع أن تكتفى بالمشاهدة والتعجب من الأسعار الرهيبة أو أن تتحلى بشىء من الخيال الواسع لترى نفسك ،ولو على سبيل الأحلام ،ممن يقدرون على شراء ساعة فاخرة بمائة ألف دولار سنغافورى أو قميص بأربعة آلاف دولار ولا عجب فأنت فى واحدة من أغلى مدن العالم، وفى الثمانينات ومع انتعاش السياحة والتجارة فى سنغافورة بشكل غير مسبوق ومع ارتفاع مستوى دخل الفرد ، نشأت مجمعات تجارية ضخمة أخرى على مقربة من شارع أورشارد مثل Sun Tec City والذى يضم أربعة أبراج مكتبية ضخمة يتوسطها نافورة عملاقة- تعد الأكبر على مستوى العالم _وتحت تلك الابراج ممرات تصل بينها وتمتلىء بمئات المحال التجارية فائقة الاناقة لتصل بين تلك المنطقة وكل من منطقة CITY HALL وهى منطقة تجارية مميزة وبها فنادق فاخرة ، ثم منطقة دار الأوبرا والتى بنيت عام ٢٠٠٢ وأطلق عليها إسم ESPLANADE أو المتنزه المستوى الأرض والتى يوجد بها أيضا بعض المحلات التجارية الفائقة الأناقة والباهظة الأسعار فى نفس الوقت .

وفى الواقع فإن كثرة عدد المحلات فى سنغافورة عامة يعد من الأمور اللافتة للنظر لاسيما فى بلد لا يزيد تعدادها عن الاربعة ملايين نسمة، ومهما كانت حركة السياحة فإن عدد المحلات والمطاعم يفوق فى الواقع احتياجات دولة تعداد سكانها من مواطنين وأجانب لا يزيد على سبعة ملايين فى أى وقت من أوقات العام وهو ما يعكس بوضوح ارتفاع القوة الشرائية للمواطن السنغافورى فضلا عن السائح.

٢- منطقة مرفأ القوارب Boat Quay :

وهى تقع بالقرب من منطقة وسط المدينة حول مصب نهير صغير يطلق عليه نهر سنغافورة ،وكانت فى الماضى على عهد ستامفورد رافلز أول ميناء لسنغافورة ،وفيها عرفت سنغافورة أول بوادر الاتصال بالعالم الخارجى، وكانت تلك البقعة هى أول من شاهد أضواء الثروة والغنى التى جاءت من كل حدب وصوب مع قوافل التجارة .

ومع مرور الزمن تحولت المنطقة الى قلب المدينة النابض خاصة بعد إنشاء البرلمان والمبانى الهامة فيها وحولها، وفى العصر الحاضر لم يعد المكان بالطبع يصلح كميناء فى عهد السفن العملاقة ، وأوحى المكان لعدد من المستثمرين - بمساكنه القديمة الملاصقة لضفة النهر بإنشاء منطقة سياحية ذات طراز يعد فريدا على منطقة حنوب شرق آسيا ، وهو طراز يعد مزيجا من الطراز المتوسطى الذى نشاهده فى إيطاليا واليونان والطراز الآسيوى معا فى تزاوج فريد، ومنطقة مرفأ المراكب تعج بالمطاعم الملاصقة للنهر والتى اتخذت من المساكن القديمة بشرفاتها مقرا لها ووضعت طاولاتها على ضفة النهر مباشرة ، وهى مطاعم من كل مذهب ولون ٠٠أمريكية وإيطالية وصينية وعربية وهندية تسهر حتى الصباح ،وتخلق بأضوائها المنعكسة على ماء النهر وبأنغام الفرق الموسيقية التى تنساب من بعض تلك المطاعم جوا بديعا ساحرا، وعلى مقربة من تلك المنطقة وعلى ضفاف النهر إلى الشمال توجد منطقة مشابهة وهى منطقةClark Quayوالتى يوجد بها عدد من أشهر الملاهى الليلية فى سنغافورة .

٣- حديقة الحيوان :

عندما تكون لديك حديقة حيوان - نقول جيدة - فى أى مدينة من المدن ، فإن أول ما يتبادر للذهن أنها ستكون مزارا للأطفال قبل غيرهم ،فالطفل بطبيعته

محب للحيوانات ومراقبتها فى أقفاصها ، إلا أن حديقة الحيوان السنغافورية والتى أنشئت فقط عام ١٩٧٣ ، تعنى أكثر من مجرد مكان لنزهة الاطفال فى نهاية الاسبوع ،فهى نزهة للكبار والصغار ومتعة للعين بكل المقاييس.

مساحتها لا تتعدى ثلث مساحة حديقة حيوان الجيزة فى مصر ، ولا يوجد بها قفص واحد سوى قفص للطيور والباقى إما ربى صغيرة للحيوانات تحيطها المياه وسور منخفض من الاشجار أو الحجارة الصغيرة أو أحواض زجاجية ضخمة لبعض أنواع التماسيح والزواحف وأفراس النهر ،وهو ما يشعرك بأنه لا يوجد حاجز بينك وبين الحيوانات، وربما لا يعد ذلك شيئا فريدا فى حد ذاته مقارنة بحدائق الحيوان فى دول العالم المتقدم ولكن الجميل فعلا هو درجة النظافة والأناقة والرعاية الشديدة للنباتات والحيوانات فى تلك الحديقة ، والمرافق الترفيهية التى تمتلىء بها والتى تضيف إليها جمالا على جمال .

أما حديقة الحيوانات الليلية أو "سفارى الليل" كما يسمونها والتى تفتح أبوابها فى السابعة مساء وحتى منتصف الليل ، وفيها يقوم الزائرون بركوب ترام كهربائى يجوب الحديقة لمشاهدة الحيوانات التى يترك بعضها كالغزلان طليقة وبعضها فوق ربوات محاطة بالماء، وبالنسبة لشخص مثلى لم يتح له من قبل أن يدخل غابة فى الليل ، فإن حديقة سفارى الليل تمثل تجربة مثيرة فهى مصممة بحيث تعطى إحساسا حقيقيا وكأنك فى غابة تسللت إليها ليلا وهى تجربة فريدة ذات إحساس فريد خاصة مع أضواء المشاعل التى تمتلىء بها طرقات المنتزه الذى يحتل مساحة تساوى تقريبا مساحة حديقة الحيوان النهارية الملاصقة له، وهناك من يروق لهم الذهاب فى الصباح الباكر الى حديقة الحيوان ليقضوا فيها طيلة اليوم وحتى السابعة مساء عندما تغلق أبوابها لينتقلوا الى سفارى الليل المجاور ليكملوا اليوم الى قرب منتصف الليل فى تجربة التصاق بالطبيعة وهى تجربة حرمتنا منها دون شك حياة المدن .

٤- حديقة النباتات :

لا أعرف عدد الحدائق التى تحمل هذا الاسم:

(حـديقة النبـاتات أو The botanical Garden) فى مختلف بلاد العالم ولكنها لا شك كثيرة ، ولأن كل حديقة يجب أن يكون نباتات ، فإن هذا الاسـم أحيانا لا يضيف شيئا جـديدا ، ولا يعكس ما عليه هذه الحديقة من روعة لا تحيط بها الف صورة فوتوغرافية ولا تكفى لوصف روعتها ،وحديقة النباتات فى سنغافورة هى أكبر الحدائق هناك وأقدمها وأبهاها على الاطلاق، والواقع أن كل شارع وطريق فى سنغافورة هو حديقـة فى حد ذاته ، فالاشجار هنا لا عدد لها وهى أول ما يلفت نظرك من نافذة الطائرة عند الهـبوط فى مطار سنغافورة ، فالتربة البـركانية الاستوائيـة الخصبة والامطار الغزيرة أنـبتت كل بوصة فى هذه الأرض بالأخـضـر والملون مما يسـبح بـابداع الخـالق الاعظم ، وجـاء الانسـان يضـيف من جماليات العناية والرعاية ما جعل المدينة كلها حديقة كبيرة.

وعندما أنشـئت حديقـة النباتات فى النصف الثانـى من القرن التاسع عـشر ـان الـهدف منهـا هو إجراء علمـاء بريطانيين لبعض التـجارب على النبـاتات ستوائية ، وسـرعان ما تحولت الحديقة الى منتزه للاثرياء البريطانيين الزائرين ـ المقيـمين فى سنغافـورة ، وظلت الحديقة الشـاسعة مـنذ ذلك الوقت مزارا لا ـوت ومعلما شـهيرا من معالم سنغافـورة بأشجارها التى يتعدى عمـر بعضها ـائة عـام ومـا زالت مثـمـرة ومـورقة ، وبنـباتاتهـا النادرة وعلى رأسـهـا زهرة ـوركيد الشهـيرة التي تعد (الزهرة الوطنية) لسنغافـورة وبفنون "البستنة " التى ـرب عن نفسها بوضوح فى طرقات الحديقة و حول بحيراتها التى يطوف فيها ـجع الفـاتن بألوانه البـيضـاء والسـوداء، وكنت دائمـا أسأل نـفسى إن كـان ـراؤنا وفنانونا العظام قـد زاروا هذا المكان ورأوه هل كانـوا ليبـدعوا أروع

وأبهى مما أبدعوا ؟ لا أعـرف ولكننى أعرف أن الجمـال يمكن أن يجعل من كل إنسان فنانا عظيما.

٥- حى الأعمال :

ويقع على مقربة مـن منطقة وسط المدينة وأحيانا يعتـبر هو وسط المدينة ٠٠ وصور حى الاعمال هى أكـثر ما يتم طباعته على كروت السيـاحة السنغافورية وهو أشـهر منظر يـتم تداوله عن سنغـافورة على مـواقع الانتـرنـت وفى الكتب وكروت البوستال.

وبشكل أو بآخر فـإن المبانى الشامـخة التى يتكون منها حى الاعـمال والتى تماثل أية مـدينة أوروبية أو أمـريكية كـبرى (ولكن علـى مساحـة أصغـر) هى أهرام سنغـافـورة الاقتـصـادية التى جـعلت من تلك الدولة واحـدة من أقـوى إقتصادات دول المنطقة بل ووضعتها فى مقدمة تصنيفات إقتصادية عالمية كثيرة.

تضم منطقة حى الاعمال مقار مؤسسات كبرى فى مختلف المجالات كالنقل البـحـرى والخـدمات المـاليـة بانواعـها و الاتصـالات بالاضـافـة الى البـورصـة السنغافورية ومؤسسة النقد (البنك المركزى) وغير ذلك من مؤسسات تسبح فى بحار من مليـارات الدولارات تديرها داخل تلك الجزيرة الصـغيرة وفى مـختلف أنحاء العالم، وككل المناطق المشابهة فإن السير فى شوارعها يعد تجربة كئيبة على الاقل بالنسبة لى فالسير بين مبان عمـلاقة تتعدى الخمسين دورا فى ارتفاعها ليس أمرا يبعث البهجة فى النفس ولكن مشاهدتها عن بعد قد يكون أفضل.

٦- دار الأوبرا Esplanade :

عرفت سنغافـورة عددا من المسارح التى بنيت فى عهد الاحـتلال البريطانى كمـسرح فـيكتوريا، وفى القـرن الحادى والعـشرين أصـبحت فكرة بناء مـركز ثقافى ضخم يضـم مسرحا كبيـرا للأوبرا وعدة مسـارح أخرى مغطاة ومكشوفة

وقاعات عرض فنية و مكتبة ، قد بدت ضرورة أسوة بدول أخرى ومحاولة لتشجيع الفنون فى ذلك البلد الصغير، وفى عام ٢٠٠٢ تم افتتاح دار الأوبرا الجديدة والتى تضم مسرحا كبيرا بالإضافة الى عدد من المسارح الاصغر وقاعات العرض المكشوفة بجوار موضع التقاء نهر سنغافورة مع البحر فى موقع شديد الخصوصية يطل على مدخل سنغافورة التقليدى القديم من الناحية الجنوبية ، ويطل أيضا على حى الاعمال ومنطقة وسط المدينة فى نفس الوقت، وقد بنى المبنى الرئيسي لهذا المجمع الثقافى الكبير على شكل تحفة فنية هائلة الحجم تمثل ثمرتى فاكهة الدوريان وهى فاكهة استوائية محببة لدى الكثير من الناس فى هذه المنطقة من العالم وإن كنت أتحداك عزيزى القارىء العربى أن تتحمل مجرد رائحتها أصلا، وواقع الامر أنه على الرغم من الانجازات المتواضعة نسبيا لسنغافورة فى مجال الفنون والاداب وأيضا الرياضة ، فإن هناك إهتماما كبيرا بهما من جانب الحكومة والشعب فى نفس الوقت ، فنسبة الإقبال على العروض الفنية ـ حتى وإن كانت متواضعة المستوى فى بعض الأحيان - تعكس شيوع التذوق الفنى على نطاق واسع لدى عامة الناس و صفوتهم، وفى ضوء ذلك فإن العروض الفنية التى تشهدها دار الأوبرا أو Esplanade يعد إقبالا كبيرا رغم أن أسعار التذاكر ليست منخفضة تماما ، وفى كثير من الاحيان فإن عليك أن تقوم بحجز العرض قبل موعده بأكثر من أسبوع حتى تجد مكانا معقولا فى المسرح.

٧- الحى الصينى :

إعتدنا أن نجد حيا صينيا فى عواصم الدول الغربية كواشنطون ولندن ، كمركز للثقافة الصينية ومكانا لشراء المصنوعات الصينية التقليدية ، أما المنتجات الصينية الحديثة فإنك بالطبع لا تحتاج لأن تذهب للحى الصيني لشرائها فهى موجودة فى كل المدن و كل بلاد الدنيا .

أما أن تجد حيا صينيا فى مدينة هى بطبيعتها ذات أغلبية صينية فهذا أمر لافت للنظر حيث أن واقع الأمر هو أنك تجد فى معظم الأماكن فى سنغافورة كافة علامات الثقافة والفنون والحضارة الصينية - ولو بشكل مصغر بالطبع عما هو عليه فى بلادها الأصلية ـ جنبا الى جنب مع ملامح الحضارة الغربية .
إلا أن الحى الصيني أو المدينة الصينية China Town فى سنغافورة هى منطقة نفوذ صينية خالصة .. مبانيها ، مطاعمها ، محلاتها ، وبالطبع فإن أغلب الموجودين فيها من تجار وزبائن هم من الصينيين السنغافوريين، ومساحة الحى الصيني ليست كبيرة فى مجملها ،ولا يكاد يوجد فيها مساكن كثيرة بل أن أغلبها متاجر ومطاعم تجد وتشم وتلمس فيها كل ما هو صينى خالص لم تمسه الحضارة الغربية أو تلونه بألوانها المبهرة ، اللهم إلا بعض المجمعات التجارية الكبيرة التى تم تشييدها على مشارف الحى، والحى الصينى كان فى الماضى أول البقاع التى استقر فيها العمال والتجار الصينيون الذين جاءوا فى القرن التاسع عشر سعيا وراء تسعة أعشار الرزق وهو التجارة ، والفرصة فى ثراء سريع بعيدا عن بلادهم بآلاف الكيلومترات ، وفى وسط الحى الصينى تجد واحدا من أقدم مساجد سنغافورة وهو مسجد جامو المبنى على النمط الهندى ، وعلى بعد أمتار قليلة منه تجد معبدا هندوسيا وكلاهما محاط من الخارج بجو صينى .. منتهى التواؤم والانسجام بين الاديان والأعراق.

٨-الحى المالاوى:

المالاى هم السكان الأصليون لسنغافورة ، وحتى الان فإن أكثر من ٦٠٪ من أسماء الاماكن والشوارع والمبانى هى أسماء مالاوية بل أن إسم سنغافورة أصلا ما هو إلا اسم مالاوى و نشيد سنغافورة الوطنى كلماته بلغة المالاى .
والمالاى هم الشعوب التى تسكن تلك المنطقة من العالم وتحديدا إندونيسيا

وسنغافـورة وماليزيا كمـا أنهم يوجدون أيضا باعداد أقل فـى دول مجاورة كتايلاند والفلبين ،ويبلغ تعدادهم نحو ٢٥٠ مليون وأغلبهم من المسلمين بل إن هناك نوع من الترادف بين الانتمـاء للجنس المالاوى والانتمـاء للاسلام رغم وجود بعض المالاى من غير المسلمين ولكن على سبيل الاستثناء .

والحى المالاوى أو قـرية المالاى حى يصغـر فى مسـاحـته عن الحى الصينى ويتكون من القرية المـالاوية نفسها وهـى عدد من المتاجـر التى تم إنشاؤها على طراز واحد يحـيط بها سـور خشبى مميـز وتبيع المنتـجات المالاوية التقـليدية من ملابس وتحف ، وبجوارها مـتاجر أقدم وأكثـر بساطة تبيع أقمـشة وملابس من ماليزيا وتايلاند والصين والهند بالاضافة الي مجـمعين تجاريين متوسطى الحجم يبيعان كـل شيء ، والقاسـم المشترك بين كل تلك المتاجر هو الانخـفاض النسبى فى أسعـارها مقـارنة بمتاجر وسـط المدينة، ومن وجهة نظـرى فإن الحى المالاوى بصفـة عامـة منطقة غيـر جذابة ، وذلك حـتى يأتى شهـر رمضان فـتجد المـنطقة وشارعها الـرئيسى (تشانجى) وقد دب فيهـا روح جديدة قلبت كل شيء رأسا على عقب ، فـالأنوار تملأ كل متر والمتـاجر تتلألأ بأنوار من كل لون وعـشرات المحلات المؤقتـة المتنقلة التى لا تدرى من أين جاءت يقام بهـا سرادق خاص فى قطعة أرض فضاء مخصصة لهـذا الغرض ، كلها تسهر طوال الشهر الكريـم ولا تغلق أبوابها أبدا لتبيع كل شيء للمسلمين وغيـر المسليمن ولتتحول منطقة الحى المالاوى الي أكثر مناطق سنغافورة إزدحاما منذ ليلة الرؤية وحتى نهاية يوم العيد أو Hari Rayaوهي عـبارة تعنى يوم العـيـد بلغ المالاى، وعلى عكس الحى الصينى ، فإن الحى المالاوى يلاصقه مجـمعات سكنية حكومية HDBيسكنها المالاى بالدرجة الاولى وإن كان بها عدد مساو تقريبا من الصينيين وذلك حرصا من الحكومة على ألا يتمركز أى عرق أو دين فى مـنطقة بعينها دون غيرها ، بل

إن الجـميع يجب أن يكون لهم تواجـد فى كل حى من أحـيـاء سنغـافـورة وبالنسب التى تعكس التشكيل العام للمجتمع السنغافورى قدر الإمكان .

٩- الحى الهندى :

جاء الهنود للمرة الاولى الى سنغافورة ضمن قافلة رافلز عام ١٨١٩ ، وقبل ذلك كان تعـامل الهنود مع سنغافـورة مقصـورا على التجـارة ، أما فى هذه المرة فقد جاء الهنود كجزء من التواجد البـريطانى ليستقروا ويعملوا فى تلك الجزيرة الصغيرة خدمـة للتاج البريطانى ، ولسبب ما فقد فـضل الهنود الاقامة فى منطقة منفصلة ، وإستمر الامـر على ذلك بعد وفاة رافـلز وخاصة مع منتـصف القرن التاسـع عشر حينما زاد عـدد الهنود المهاجـرين للعمل فـى سنغافورة ، وانـتقل الهنود إلى المنـطقـة التى تسـمى الآن بالهند الصـغـيـرة Little India وهى منطقة مجاورة لوسط المدينة إلا أنها تختلف تمـاما عنها حيث يغلب عليها الطابع الهندى فى كل شىء وتكثـر بها المعابد الهندوسية والمتاجـر التى تبيع المنتـجات الهندية، ويوجد بالحى الهندى أو الهند الصغـيرة كما يطلق عليها مسـجـد شهير يعد أحد اقدم مساجد سنغافورة وهو مسجد أنجوليا وفى مقابله يوجد أكبر متجر شامل فى سنغافـورة (مركز محمـد مصطفى) والذى يعد المتجـر الوحيد الذى يعمل ٢٤ ساعة يومـيا ويبيع كل شىء من السيارة إلى المسمـار ومن الفاكهة إلى الكيماويات، والحى الهندى حاليا مـثل الحى الصينى ليس حيا سكنيا بل هو حى تجارى بالدرجة الاولى ولاشك أن تجربة التسوق هناك تعد متعة مختلفة تماما عن التسوق فى متاجر وسط المدينة الأنيقة والمكلفة أيضا .

١٠ـ سنتوزا :

وهنا حديث عـن بقعة مـحببـة للنفس للدرجة التى تزدحم فـيهـا الكلمات وتعجز عن التعبير عن جمالها و رونقها .

وسنتوزا هى أشهر بقعة سياحية فى سنغافورة وواحدة من أجمل المتجعات فى آسيـا والعالم ككل وتحتل مكانا مميـزا على التصنيفـات العالمية للمنتجـعات الشاطئية ، وهى أيضـا درة السياحة السنغافورية بما تجـتذبه من زوار يفوقون أى مكان آخر فى سنغـافورة (٨ مليون زائر سنويا). وسنتـوزا جزيرة صغيـرة جدا تقع فى جنوب جزيرة سنغافورة وعلى بعد أقل من كيلو متر منها ويصل الاثنين جسـر معلق جميل التصميم .

كانت سنتـوزا (أو جزيرة بلاكانج ماتى سـابقا) مهيـأة طبيعيـا لتكون قلعة عسكرية وهو ما أدركه البريطانيون الذين إتخذوا منها قاعدة عـسكرية منذ القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٦٧ قبل إعادتها لسنغافورة ، وشهدت الجزيرة قصفا مكثفا من القـوات اليابانية فى الحرب العالميـة الثانية وشهدت استـسلام القوات البريطانيـة للقوات اليابانية ثم الاستـسلام اليابانى للبريطانيـين فى نهاية الحرب عام ١٩٤٥ ، وفى عـام ١٩٧٢ قررت الحكومـة السنغافـورية أن يتم تخـصيص سنتوزا لـتكون منطقة سيـاحيـة خالصة ومـنذ ذلك الوقت تم انفاق نحـو مليار دولار لتحـويل الجزيرة الى أجمل مكان فى سنغـافورة وقد كان، واليـوم ،وبعد العديد من التطويرات، غـدت سنتوزا منتجعـا جميلا به أربعـة شواطىء خلابة وفنادق بهـا نحو ٧٠٠ غرفـة و عدد من المزارات السـياحيـة الترفـيهيـة التى من أبرزها بالطبع عـالم تحت المـاء ، وهو متـحف بحـرى يضم أحـواض أسـمـاك زجاجية ضخـمة ، و نفقا زجاجيا يمر داخل حـوض مائى ضخم يمتلىء بالعديد من أنواع الأسـماك ومن بينهـا سمك الـقرش ويـسبح معـهم بعض السبـاحين المدربين بحيث يمر الزائرون وسط النفق وهم يشاهدون تلك الاسماك.

ذلك بالإضافة إلى العربات المعلقـة على الكابلات أو التليفريك الذى يصل بين جزيرة سنغافـورة الرئيسية وجزيرة سنتـوزا ، ليرى الراكـب مشهدا جـميلا

للخضرة اللانهائية التى تلف الجزيرتين ، ذلك بالإضافة الى النافورة الموسيقية العملاقة والتى تحيط بها مدرجات تتسع لحوالى ٤ آلاف شخص وتقدم عروضا ليلية بالليزر والمؤثرات البصرية المتقدمة والتى تعرض صورا على رذاذ الماء الذى يندفع من عشرات الفوهات فى النافورة ، ويصاحب ذلك موسيقى منتقاة بعناية ، وكذلك دفقات من النيران التى تخرج من فوهات خاصة فى الأرض ليختلط الماء بالنار فى تشكيلات بديعة لا توصف بالكلمات، وسنتوزا مكان رومانسى من الطراز الأول خاصة عند الغروب وبعده أيضا ، فهناك العديد من الأماكن التى تم تصميمها لتستفيد من روعة النهار وبهاء الليل على تلك الجزيرة التى تبدو مكانا من الجنة، وسنتوزا مكان مثالى أيضا للعب والمرح وركوب الدراجات ، ومكان لدراسة حياة النباتات والطيور والزواحف والحشرات التى تمتلىء بها الغابة الصغيرة التى تحتل وسط الجزيرة .

أما شواطىء سنتوزا فهى أجمل شواطىء سنغافورة وعلى الرغم من أن بحر الصين الجنوبى بطبيعته لا يعد جميلا بأى حال ، فلا أمواج ولا نقاء مياه ولا حتى نسمات منعشة ، إلا أن القائمين على تلك الجزيرة جملوا الشواطىء الصخرية واستوردوا لها الرمال وزرعوا فيها النخيل وأقاموا جزرا صناعية ولم يبق سوى أن يضعوا لتلك الشواطىء مستحضرات للتجميل ، ونجحوا فى جعلها ملاذا جميلا لكل من يريد قضاء وقت جميل لاينسى.

ومن عجائب المكان :

وإذا كانت اللقطات السريعة السابقة قد حاولت تقديم بعض ملامح المكان، فإن لكل مكان عجائبه خاصة من وجهة نظر الغرباء وخاصة إذا كان هؤلاء الغرباء قادمون من بلاد لديها من الأحوال والأوضاع ما يختلف كليا وجزئيا عما يرونه فى البلاد التى ذهبوا إليها، وعلى سبيل المثال لو حدثتك عن حكومة

تكافح مع شعبها لكى ينجبوا ويكثروا النسل أو حدثتك عن دولة تدفع الملايين لكى تستورد رمالا أو حدثتك عن مساكن شعبية فاخرة وبتقسيط يمتد مدى الحياة ، فلاشك أنك تجد لكل ما سبق وقعا غريبا وطريفا على أذنيك ولكنه فى نهاية المطاف أمر حقيقى وواقعى فى بلاد بعيدة جميلة اسمها سنغافورة .

استيراد الرمال :

قد يبدو هذا شيئاً غريباً ربما على بلادنا العربية التى لا يوجد فيها شىء أكثر من الرمال حتى أصبحت الرمال مضرب أمثالنا فى الكثرة والوفرة ،ولكنه حقيقة ، ففى سنغافورة لا يوجد رمال على الاطلاق ، فالجزيرة صخرية بركانية شديدة الخصوبة كمعظم جزر وأشباه جزر منطقة جنوب شرق آسيا .

ومع إزدياد الثروة والاحساس بأن المساحة الحالية للجزيرة لن تكون كافية للأجيال القادمة ظهرت فى السبعينات فكرة ردم أجزاء من البحر وشهدت التسعينات مشروعات طموحة فى هذا الصدد زادت من رقعة الجزيرة من ٥٨٠ كيلو متر مربع إلى ٧٠٠ كيلو متر مربع، ومن الشائع عندما تطالع بيانات أية دولة أن تجد تغيرا بالزيادة فى حجم الناتج القومى أو فى عدد السكان على سبيل المثال فهذا أمر طبيعى ،أما أن تجد زيادة من عام لآخر فى مساحة الدولة نفسها فإن هذا الامر يبدو غريبا بالفعل وهو ما ينطبق على سنغافورة.

ففى الوقت الذى تقرأ فيه عزيزى القارىء هذه السطور ستجد أن هناك تزايدا فى بيانات سنغافورة المذكورة فى صدر هذا الكتاب ليس فقط فيما يتعلق بعدد السكان أو متوسط دخل الفرد والناتج القومى مثلا ولكن ستجد أيضا زيادة فى مساحتها التى تزيد عاما بعد عام بسبب المشروعات الطموحة التى تقوم بها الحكومة لردم البحر .

ولا شك أن ردم البحر يعد من أبرز علامات القوة الاقتصادية للدولة نظرا

لتكلفته الباهظة لـلدرجة التى جعلت الدول الرائدة فى هذا المجال كـهولندا تتوقف عن عمليـات الردم ، إلا أن الأمر بالنسبة لسنغـافورة يعد خطا استرتيـجيا ينبغى الاستمرار فيـه ، وسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم فى إعـمار الأرض والانتفاع بها ومـد رقعتها ، وفى مقـابلة جمعتنى بأحد كبـار المسئولين فى واحدة من المؤسسات السنغافورية العملاقة العاملة فى مجال التنمية والتعمير ذكر لى أن تكلفـة ردم قدم مربع واحـد من الأرض تصل الى مـائة دولار سنغافـورى أى ما يوازى ٦٥ دولار أمريكي ، ولما أبديت دهشة شديدة لهذا الرقم الكبير الذى يعنى عـشرات الملايين من الدولارات لردم منطقـة صـغيـرة ، ذكر لى أن تلك التكلفـة ترجع بالطبع لعـمق البحـر فى بعض المناطق المطلوب ردمهـا وأيضا لعـدم توافر الرمال التى تعد من المكونات الأساسية لـتربة الردم وهو ما يدفع سنغافورة لشراء الرمل من أقرب مصـادره وهو إندونيسيا ومن الشـائع أن تجد فى مواقع الردم فى سنغافورة سـفنا عملاقة يسـمونها حاملات الرمل تم تـركيب مضخات عـملاقة على متنهـا تقوم بسحب الرمـال من على ظهر هذه السـفن وضخهـا عن بعد فى الهواء فيـما يشبه النافـورة أو المدفع العملاق لتسقط تلك الرمـال فى منطقة الردم كمـرحلة أولى فى هذه العـملية التى تبـدو أغرب من الخـيال يليهـا انزال بعض المعدات لدك طبـقات الرمال التى تم الـقاؤها ويلى ذلك عمليـات متعـددة لحقن تلك التـربة وتثبيتـها قـبل وضع طبقـات صخـرية وطينيـة علوية ثم زرع بعض الأشجـار عليها وتركـها قبل إقـامة أية انشاءات كـبيرة لمـدة خمس سنوات على الأقل لضمـان ثبات التربة ، وقد إسـتفادت سنغافـورة إستفادة كبـيرة من المناطق التى تم ردمها حتى الان وربما أشهر مثال على ذلك منطقة المطار وما حولها.

فعندمـا تهبط فى مطار سنغافـورة قد يكون من الصعـب أن تتصـور أنه حتى عشرين عاما ماضية كان ذلك المطار وما حوله جزءا من بحر تتلاطم فيه الأمواج

والأسماك ليصبح الآن ممرات هبوط وإقلاع وصالات سفر ووصول..

الصناعة :

الحديث عن الصناعة فى سنغافورة لا يعد حديثا عن تاريخ بعيد كما هوالحال فى الحديث عن التجارة ، وعلى الرغم من أن التصنيع بدأ فى سنغافورة منذ ما قبل الاستقلال عام ١٩٦٥ إلا أن الطفرة الحقيقية التى وضعت سنغافورة وصناعتها فى مصاف الدول المتقدمة لم تبدأ إلا فى السبعينات ولم تظهر ثمارها المبهرة الا فى النصف الثانى من الثمانينات.

وقد تأثرت الصناعة فى سنغافورة بحجم الدولة والسكان إلى حد كبير فدولة صغيرة الحجم قليلة السكان لا تناسبها الصناعات الثقيلة التى تحتاج لمساحات كبيرة وأيدى عاملة وفيرة ، وعلى الرغم من أن الكثيرمن الدول ترى فى تلك الصناعات الضخمة كصناعة الحديد والصلب والمعادن بصفة عامة وصناعات السفن والسيارات والمعدات الثقيلة ، ترى فيها بعدا استراتيجيا يؤكد قوة الدولة ومكانتها ، إلا أن السنغافوريين كان لهم رأى آخر ، فقد إنتهجت الحكومة منذ السبعينات منهج الاهتمام بالصناعات التى تنتج ما خف وزنه وغلا ثمنه، ومعنى ذلك أنك تجد فى سنغافورة ذلك النوع من المصانع الصغيرة الحجم القليلة العدد التى تنتج مكونا فائق الدقة ويحتاج لتكنولوجيا لا توجد الا فى أكثر الدول تقدما ، وبالتالى فإن هذا المصنع ينتج ويحقق ربحا يفوق ما يحققه مصنع جرارات أو سيارات على سبيل المثال.

ففى سنغافورة تجد مصنعا لمعالجات الكومبيوتر (processor) وهو أغلى مكونات هذا الجهاز ولا تجد كثيرا مصنعا لانتاج الكومبيوتر بالكامل وتجد مصنعا لانتاج أنبوب الالكترونات فى جهاز التليفزيون ولا تجد مصنعا لانتاج التليفزيون بالكامل وتجد مصنعا لانتاج المواد الفعالة للادوية وتلك تتطلب تقنية عالية وتحقق ربحا أعلى بكثير من ربح انتاج الدواء فى صورته النهائية وهكذا، وكان لصناعة الالكترونيات مكانا هاما فى هيكل الصناعات السنغافورية منذ

السبعينات وحتى الآن ، إلا أن هناك صناعات أخرى أصبح لها ثقل كبير مثل صناعة الكيماويات والصناعات الهندسية الدقيقة وأذكر فى ذلك أننى تعرفت يوما على شخص بدا لى على قدر كبير من الثراء ، وعندما تحدثت معه عن عمله ذكر لى أنه يعمل مهندسا فى شركة كبيرة كل وظيفتها انتاج الاسطوانات المطاطية فى طابعات الكومبيوتر وهى الاسطوانات التى تتولى سحب الاوراق وضبطها لتتم الطباعة عليها وهى جزء لا يلفت نظرنا كثيرا ، إلا أن الرجل قضى نصف وقت العشاء الذى كنا مدعوين اليه ، يشرح لى كيف انه إذا لم يتم صنع تلك الاسطوانات بدقة بالغة فسوف لا تعمل الطابعة أو تنتج صورا دقيقة، وكان كافيا لاقناعى بأهمية ما يقول أن يذكر لى حجم أعمال شركته الذى يبلغ مئات الملايين، وشخص آخر يعمل فى شركة مهمتها تعقيم أماكن صنع أشباه الموصلات التى تدخل فى صناعة الدوائر الالكترونية الداخلة تقريبا فى كل شيء حولنا وبدون هذا التعقيم الذى يعد المرحلة الأولى الحاسمة فى صناعة الالكترونيات فلن تعمل الدوائر الالكترونية أو سيقصر عمرها الافتراضى، ونفس الأمر بالنسبة للأقراص الصلبة hard disc لاجهزة الكومبيوتر والتى يوجد فى سنغافورة أكبر مصنع فى العالم لانتاجها وغير ذلك كثير من المكونات الخفيفة الوزن والحجم الغالية الثمن والاهمية، وانطبق نفس الأمر على مشروع سنغافورة الطموح لصناعات التكنولوجيا الحيوية والذى قام على استقطاب علماء من مختلف أنحاء العالم وإعطاؤهم كل الإمكانيات دون حدود لكى ينافسوا مشروعات مماثلة فى الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا وكوريا الجنوبية لانتاج أدوية جينية تعمل على علاج الامراض المزمنة التى لا علاج لها حاليا كالسكر والسرطان عن طريق التعامل مع خريطة الجينات الوراثية الموجودة لدى الانسان فيكون علاجها جذريا.

بالإضافة إلى ما سبق فإن هناك صناعات عادية فى سنغافورة إلا أنها صبغت بصبغة التفوق السنغافورى فأصبحت الأولى على مستوى منطقة

جنوب شرق آسيا كصناعات التشييد و البناء وانشاء الطرق والموانى وكذلك الخدمات المالية والمصرفية والسياحية ،ولسنغافورة فيها كلها باع وصيت ذائع على مستوى آسيا والعالم ككل بتته تلك الدولة الصغيرة فى نحو عقدين من الزمان لا أكثر.

التجارة وإعادة التصدير :

التجارة هى أصل هوية وشخصية سنغافورة الحديثة ، وكان لموقعها المتميز على رأس منطقة مضايق جنوب شرق آسيا دور كبير فى تشكيل تلك الشخصية، وعلى الرغم من أن هذا الموقع كما ذكرنا ليس فريدا من نوعه كموقع قناة الوسويس أو قناة بنما على سبيل المثال إلا أن البريطانيين عرفوا كيف يستغلونه وتبعهم الصينيون الذين شجعهم البريطانيون على الهجرة الى سنغافورة فى خلال القرن التاسع عشر، والتجارة هى أهم مكونات الاقتصاد السنغافورى العملاق والشريك الاكبر فيه ، والمقصود بالتجارة هنا الوساطة التجارية بين أى عميلين أو زبونين فى أى مكان على خريطة العالم، والقصة باختصار يا عزيزى القارىء أن السنغافوريين بدأوا فى القرن الماضى تماما "كالبمبوطية" فى مصر يشترى من المراكب التى تمر عليه ثم يبيع ما اشتراه لمركب أو لأى زبون آخر، وبمرور الزمن تحول "البمبوطى" الشاطر إلى مؤسسات تطبق نفس الفكرة ولكن على نطاق أكبر بكثير وهو ما يسمى باعادة التصدير ، فميناء سنغافورة الذى يعد ثانى أكبر ميناء للحاويات فى العالم يمتلىء ببضائع جاءت من كل مكان فى روسيا والعالم و بالطبع لن تدخل بأكلمها إلى السوق المحلى الصغير (٤ ملايين نسمة) ولكنها معدة لكى يتم اعادة تصديرها بسعر مربح إلى طرف ثان فضّل أن يتعامل مع الوسيط السنغافورى حتى يكسب بضاعة جيدة لا غش فيها ولا فهلوة ومعاملة أمينة ومواعيد دقيقة لا تختل ، ففى مجال الأعمال الوقت يساوى المال بل هو أحيانا أهم منه والجودة هى روح البضاعة التى قد تجعل الجميع يركضون وراءها أو يزهدون فيها ويلقونها فى البحر .

وأذكر أننى قابلت يوما رجل أعمال سنغافورى جاوز السبعين شرح لى

كيف أنه يقوم منذ أكثر من أربعين عاما بعمل واحد فقط در عليه الملايين بل عشرات الملايين ، وهو أنه يصدر شطة من فيتنام الى الهند ! !

ولم أستطع أن أمنع لساني من الانطلاق سائلا وهل الهند تستورد شطة ؟ وهل المستورد الهندى لا يستطيع الوصول بنفسه الى مصدر الشطة فى فيتنام ؟ وكيف أصلا يتعامل مع فيتنام التى كانت حتى أقل من ثلاثين عاما فى حرب ضروس ، و ظلت حتى خمسة أعوام ماضية مغلقة أمام التجارة العالمية على حد ما كنا نعلم ونقرأ ، ولم يكن من الرجل إلا أن رد بابتسامة هادئة ،ليست صافية على الاطلاق ، قائلا إن البيزنس يسرى فى كل مكان من العالم كالهواء لا تستطيع منعه أو وقفه حتى فى ظل أتون الحروب ، و أوضح لى أن الشطة الفيتنامية المميزة لها سوق رائج فى مناطق من الهند وأن التجار المتعاملين فى تلك البضاعة فى الهند وفيتنام يعرفون بعضهم ولكنهم يفضلون التعامل عن طريق هذا التاجر أو الوسيط السنغافورى ضمانا للجودة وللتوقيت وحسن التغليف وكلها عوامل تلعب دورا هاما فى الابقاء على القيمة العالية لهذا المنتج القيم من وجهة نظر كل الاسيويين فى حالة جيدة وهو ما لا يضمنه ،سوى هذا الرجل ! !

وكان طبيعيا أن تنشأ على أكتاف صناعة إعادة التصدير فى سنغافورة وأقصد هنا عامداً تسميتها بالصناعة "صناعة" أخرى شقيقة وهى صناعة الخدمات المالية والمصرفية فائقة التميز ومرة أخرى أقصد تسميتها بالصناعة حتى لو كانت كتب الاقتصاد تسميها خدمات .

فسنغافورة هى واحة البنوك العالمية والاسيوية فى جنوب شرق آسيا بل وآسيا كلها والبنية التحتية التى توفرها سنغافورة لعمل تلك المؤسسات البنكية والمالية يندر أن توجد فى مكان آخر فى تلك المنطقة من العالم .

السياحة :

سنغافورة بلد سياحى من الطراز الأول بكل المقاييس وعلى الرغم من أنها ليست من بين أكبر الدول المتلقية للسياح فى العالم ، فإن استقبالها لثمانية

مليون سـائح كل عام يمثل فى حـد ذاته معجزة لـبلد لا تملك شيئـا يذكر من المقومات الطبيعـية للسياحة ، فالجو حار رطب على مـدار العام تقريبا ، وليـست هناك آثار قديمة وليـست هناك مناطق يغلفهـا سحر الطبـيعة ، ولكن عـوضا عن كل ذلك هناك بشـر يعرفـون كيف يجـعلون من إجازة الـسـائح وقتـا جمـيلا لا ينـسى، فالفنادق والشوارع وأماكن الشراء والحدائق وأماكن الترفيه البرىء وغير البرىء والشواطىء التى تم تجميلها ولم تكن من قـبل هذا التجميل جميلة على الاطلاق ، وقبل وبعد كل هذا شركات السياحة بالغة التنظيم والخبرة التى تعرف كيف تقنع الزائر بقـضاء إجازته فى تلك الجـزيرة الصغيـرة ، كل ذلك جعل من سنغافورة قبلة للسائحين فى منطقة جنوب شرق آسـيا وجعل السياحة وما يرتبط بها من خدمات وصناعات من أهم الأنشطة الاقتصادية فى سنغافورة ،بل ونقول أنها جعلت من المواطن السنغافورى شخصـا مؤهلا بطبعه للتعامل الايجابى مع السائحين حتى ولو كان بطبـعه شخصا جافا ، فالتعـامل الجيد مع السائحين ينبع من إدراك أنهم مصـدر هام للدخل والرزق بل ويذهب الأمر إلـى أبعد من ذلك بكثيـر عندما يرى السنغافوريون فـى السائحين القادمين لبلادهم زبائن وشـركاء أعمال محتملين قد يقبلون على التعامل مع السنغافوريين حبا فى بلدهم واقتناعا بانهـا واحة جدية ونـشاط ونظام فى تلك المنطقـة من العالـم ، وهناك العـديد من القصص التى تروى عن مؤسسات عالمية ضخمة اختارت سـنغافورة مقرا لها فى جنوب شرق آسيـا أو فى آسيا كلها ،ووجـدت فيها أفضل البـقاع التى يمكن أن تكون موطىء قدمها ومقرها الإقليمي فى تلك المنطقة الهامة من العالم .

المناخ :

سنغافـورة تقع على خط الاستواء وبالتـحديد على الدرجة الاولى شـمالا، وبالتالى فهى تقع فى واحد من أصعب الاقاليم المناخية فى العالم وتشاركها فى هذا الاقليم أكثر دول العالم فقرا وتخلفا فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية .

ولو افتـرضنا أن أحدا أقلته مـركبة ما وطاف بـها فوق خط الاستـواء حول

الكرة الأرضية فإنه لن يجد فى طريقه هذا بقعة تقع على خط الاستواء أكثر تقدما من سنغافورة التى تعد مثالا حيا وواضحا يكسر نظرية ربط التخلف بارتفاع درجة الحرارة .

فالجو الاستوائى حار رطب على مدار العام وتكاد لا تكون هنا فصول، فدرجة الحرارة على مدار العام تتراوح نهارا ما بين٣١ إلى ٣٥ وليلا ما بين ٢٣ و ٢٧ مئوية والرطوبة ما بين ٨٥ إلى ١٠٠٪ ، وهو ما يجعل الإنسان يشعر بدرجات الحرارة السابقة وكأنها أعلى بعشر درجات على الاقل مما هى عليه ، ولا توجد نسمات هواء الا فيما ندر وأجهزة التكييف أمر حتمى تقريبا فى كل مكان عدا الاماكن المرتفعة حيت تبدأ نسمات الهواء فى الظهور والتأثير ، ذلك بالإضافة إلى الأمطار الغزيرة على مدار العام، وعلى الرغم مما سبق فقد نجح السنغافوريون فى إحراز التقدم وبشكل يفوق جيرانهم الواقعة بلادهم فى نفس الإقليم المناخى فى اندونيسيا وجنوب ماليزيا وسريلانكا ووسط الهند ووسط إفريقيا والكاريبى وأمريكا الوسطى، والواقع أن الشواهد تؤكد أن سنغافورة لم تجد طريقها إلى التقدم الا عندما توافر لها عاملان رنيسيان :الأول هو مهاجرون جاءوا من بلد بعيد تماما عن سنغافورة وهو الصين، والثانى هو توفير المناخ الاجتماعى الاقتصادى السياسي الملائم لهؤلاء المهاجرين لكى يعملوا وينتجوا ويتفوقوا على نظراء لهم فضلوا أو أجبروا على البقاء فى وطنهم الام - وهو الصين ، حتى جاءت لهؤلاء الباقين فى الصين فرصتهم فى العصر الحاضر فبدأوا يتفوقون ،ويبدو أن حدود تفوقهم هى السماء .

الأسعار :

سنغافورة من أغلى بلدان العالم وحتى بمقياس معدل الدخل الحقيقى والذى يعنى قسمة متوسط سعر السلع على متوسط دخل الفرد ، فإن الأسعار تظل عالية نسبيا لكن هناك فرصة للمواطنين أكثر من الأجانب فى الحصول على احتياجاتهم باسعار أرخص ،إما من خلال ما توفره لهم الدولة من تعليم

مجانى أو تقسيط طويل الأمد للمساكن ،أو من خلال انخفاض سعر الأطعمة التى يقبل عليها المواطنون دون الأجانب المقيمين والذين يجدون سنغافورة دون شك مكانا غاليا ليس فقط على نفوسهم ولكن أيضا على جيوبهم !

واليك عزيزى القارىء بعض الأمثلة لبعض السلع بعد تحويل أسعارها إلى الدولار الامريكى:

كيلو اللحم ١٩ دولار.

كيلو الطماطم ٢ دولار.

حلاقة الشعر ١٢ دولار.

البيضة ٣٥ سنت.

رغيف خبز ٢ دولار.

لتر البنزين ٨ , ١ دولار.

اما الاجهزة الالكترونية والكهربائية فهى أرخص من بقية دول المنطقة الى حد كبير، وأرخص أيضا من الكثير من دول العالم .

وقد دعمت الاسعار الغالية من روح الحرص والتى قد يراها بعضنا بخلا لدى الانسان السنغافورى ولكنه حرص مبرر طالما أن لكل شىء ثمن باهظ ، خاصة ما يتعلق بالمرافق العامة كالكهرباء والمياه والغاز والبنزين .

والسبب الاساسى فى ارتفاع الاسعار خاصة أسعار الطعام -فى سنغافورة يتمثل فى أن الاغلبية الساحقة من تلك الاطعمة ان لم يكن كلها مستورداً من الخارج خاصة ماليزيا واستراليا فليست هناك زراعة تقريبا فى سنغافورة ، فهذا النشاط يعد ـ نسبيا ـ غير مجد اقتصاديا من وجهة نظر المواطنين و الحكومة وان كان هذا التوجه ليس معلنا بالطبع .

فضلا عن ذلك فإن الضرائب ـ وليس الجمارك -التى تفرضها الحكومة على الافراد والشركات وإن كانت لا تصل للمستويات الأوروبية والامريكية ، إلا أنها تسهم فى رفع مستويات الاسعار إلى حد كبير .

شراء سيارة حلم العمر:

إن إمتلكت سيارة فى سنغافورة فأنت رجل غنى ، والقصة باختصار ان الحكومة رأت أن هذه المدينة الصغيرة يمكن أن تمتلىء بالسيارات فى غضون سنوات قليلة للدرجة التى لا تصبح فيها قادرة على السير وبالتالى فلابد من فرض ضرائب باهظة تعجيزية على السيارات تجعل من اولئك القادرين على امتلاك سيارة فى اقل حدود ممكنة، وفى ضوء ذلك ابتكرت سنغافورة نظاما لا مثيل له فى العالم وهو طرح رخص تسيير السيارات فى مزاد عام غير علنى !! بمعنى أنه ان كانت الحكومة تنوي منح الف رخصة تسيير هذا العام وفقا للطاقة الاستيعابية للطرق ،فإن تلك الرخص سوف تطرح فى مزاد غير علنى وعلى الراغبين التقدم بمزايداتهم فى اظرف مغلقة واعلى الف عرض هم الذين سيحصلون على تلك الرخص وان تقدم عدد اقل من الالف فسيكون هؤلاء المتقدمين حتى لو فردين هم المحددين لسعر رخصة التسيير أو "شهادة تخويل تسيير السيارة" كما يسمونها فى سنغافورة، وتتراوح فئات تلك الشهادة وفقا لسعة محرك السيارة وغالبا ما تصل الى نحو اربعين الف دولار امريكي للسيارة الواحدة أي ما يفوق بكثير ثمن السيارة ذاتها .

فى المقابل توفر الدولة نظام نقل جماعى يضاهى ما لدى اكثر الدول الاوروبية تحضرا ، فأتوبيسات النقل العام فاخرة ومكيفة ومجهزة أيضا بالتليفزيون و شبكة المترو تغطى المدينة من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها ، والتاكسى متاح ومكيف وبسعر يعد معقولا نسبيا، وعلى الرغم من ذلك فإنك تجد فى الشوارع السنغافورية عددا ضخما من السيارات وليس أى سيارات بل الفاخرة منها ، ورؤية لامبورجينى أو فيرارى أو جاجوار او رولز رويس تقف بجوارك فى إشارة المرور هو مشهد لا يلفت الأعناق كما يحدث فى بلادنا أما المرسيدس والبى ام دبليو فتكادان تكونا سيارات شعبية !!.

والسبب لا يرجع فقط الى كثرة عدد الأغنياء فى هذا البلد ، ولكن أيضا إلى

ذهبيــة لتقــرض كل الراغبين فى شــراء سيارة ، فــتجــد البنوك تقدم عــروضا جاهزة لتقسيط ثمن السيارة ومعها ثمن شهادة التسيير وتمتد الاقساط إلى عشرين عاما فى بعض الأحوال وكثيرون يقبلون من أجل تحقيق حلمهم بامتلاك سيارة .

المرور:

الالتزام بقواعد المرور من علامات التحـضر والكثيرون يحكمون على تحضر وتقدم البـلاد التى يزورونها من خلال إطلالـتهم الأولى على نظام المرور فيـها ، ففى عالم اليوم أصبح مظهر الانضباط المرورى ليس مـجرد مشهد عابر يعبر عن يسر الحيـاة وانتظامها ، بل هو شهادة معـتمدة لا تقبل التزوير عن تحضـر المجتمع والدولة أو تخلفـهمـا ، والمرور من وجهـة نظرى يعكـس الكثيـر عن أى بلد من البلاد ، ليس فقط التـحضر ولكن أيضا الإطار العام لـسلوك الناس ، فمن يتردد فى أن يكون وقـحا فى الـتعـامل المباشـر مع الناس ربما يجـد فـرصتـه أكثـر فى الشوارع أثناء قيادة سيارته بشكل خطر أو فى عدم مراعاة الآخرين ، وهذا النوع يوجد فى كل مكان من العالم ولا يكون الرادع لمثل هؤلاء سـوى وجود قواعد صارمـة للمرور تطبق علـى الجميع دون اسـتثناء حـتى لو كانوا أقـارب فلان أو أصدقاء عـلان فالمساواة فى تطبـيق القانون هى التى تعطيه صفـة القانون وبدون المســاواة يتـحـول القـانون الى نفـاق لانه يطبق على الـبعض ويـغض النظر عن آخرين، والانضباط المرورى فى سنغافورة- كمـا فى اى بلد متحضر يسرى على الراكب والمترجل على السواء وهو جزءمن السلوك والمظـهر العام للإنسان ، فإن أفسحت الطريق لغيرك فهذا اعلان عـن الملأ يفهمه الجميع دون كلام أنك إنسان متحـضر وإن إنتظرت الإشارة الخـضراء لتعبر الـشارع ، فهذا من قبـيل الحرص على المظهر اللائق تماما كـالاناقة والنظافة الشخصيــة ، والعكـس صحيح فى كل ما سبق وهذا المفهـوم أكثر حضورا وفاعلية فى الشوارع من عـقوبة الغرامة التى تطبق على الجميع دون استثناء وقد شاهدت بنفسى سيارة رئيس الجمهورية وهو بداخلهـا تقف فى إشـارة مرورية ،ولـيس فى حراسـتها سـوى سـيارة واحـدة

فقط يوجد على ظهرها لافتة مضيئة تطلب فى أدب جم من السيارات الأخرى إبقاء مسافة بينها وبين سيارة الرئيس، ولم أجد شرطيا يغلق إشارة كانت خضراء لمرور موكب الا لو كان هذا الموكب لرئيس دولة اجنبية كنوع من التكريم الاستثنائى للغاية أما رئيس سنغافورة ورئيس وزرائها فهو يلتزم قبل غيره بالقواعد.

أزمة السكان :

تعودت عندما أتعارف مع عدد من الناس فى أية مناسبة أن يسألونى عن تعداد السكان فى بلدى ، ويبدو أن الاجابة كانت دائما مبهرة بالنسبة لهم ، خاصة وأن مفهومهم لتعداد السكان أنه يعنى بالضرورة أمرين.. كلاهما يصب فى مصلحة الاقتصاد وهما : توفار الأيدى العاملة واتساع السوق، ودون تعليق على ما سبق ، فإنه بالنسبة لسنغافورة فإن الحجم السكانى دائما يعنى صحة ما سبق فالجميع يعملون والبطالة فى أضيق نطاق لها وعندما بلغ حجم البطالة ٤٪ عام ٢٠٠٢ كان ذلك بمثابة كارثة غير مسبوقة فى تاريخ هذه الجزيرة الصغيرة وهذا الشعب الذى إعتاد أن اليد البطالة أولى بها أن تقطع ، وطالما تمنت الحكومة السنغافورية أن يكون عدد السكان أكبر حتى يكون السوق أكبر وبالتالى تتوافر لديه إمكانات المنافسة مع الاسواق الاخرى المجاورة، ومن هنا فإن أزمة السكان فى سنغافورة هى أزمة ندرة وليست أزمة إنفجار سكانى وهو ما بدا لشخص مثلى ،جاء من بلد تعانى انفجارا سكانيا، أمرا مسليا وطريفا فى مراقبته، فالحكومة تكاد تتشاجر مع المواطنين حتى يتزوجوا وينجبوا ، المهم أن يصل عدد السكان من ٤ ملايين إلى ٢٠ مليونا فى أقرب فرصة ممكنة.

أما زيادة العدد عن طريق فتح باب الهجرة فهى ليست حلا محبذا لدى الحكومة ، وإن كانت الظروف قد أجبرت الحكومة على تبنيه فى بعض الفترات إلا أنه ما زال يتم فى أضيق نطاق مقارنة بدول أكبر بكثير مستقبلة للمهاجرين ككندا واستراليا ، ولأن المشكلة فى سنغافورة ليست مشكلة موارد غزيرة تحتاج لسكان أكثر حتى يتم استغلالها بشكل أمثل ، فإن سنغافورة تنتهج منهجا حذرا

تجاه زيادة السكان فهى لا تريد مهاجريـن مغامرين يأتون من بلادهم ليأخذوا الجنسية ويعملوا ويكسبوا فترة ثم يـرجعو إلى بلادهم التى هى حضاريا وثقافيا فى الغـالب أكثـر تأثيـرا وسطوة من سنغـافـورة التى لا تمـلك من ذلك الشىء الكثيـر، وعلى سبيل المثال فإن مـهاجرا من المكسيك مثـلا سيجـد ألف عنصر جذب سيستمر فى ربطه بوطنه الاصلى وستكون سنغافورة فى هذه الحالة مجرد مقر عـمل وأكل عيش، ولذلك فإن قانون الـهجرة فى سنغافورة بـالغ الصرامة ، فمن حق أى إنسان وثقت فيه مؤسسة سنغافورية واحـتاجته ليعمل فيها أن يبقى فى سنغـافورة ويحـصل على إقـامة دائمـة من أى نوع ، أمـا أن يتحـول لمواطن سنغافورى ويحصل على الجنسية السنغافورية ، فإن هناك شروطا صارمة وأولها أن يتخلى عن جنسـيته الاصليـة تخليا تامـا دون رجعة ، ضمـانا للولاء المطلق، وهناك آراء ترى أن زيادة عـدد سكان سنغافـورة عن الحجم الحالى سـوف يقلل من جمالها ورونقها وأن ازدحام تلك الجزيرة الصـغيرة بالسكان ربما يزيد من قوة العمل بعد ٣٠ عـاما ولكنه سيأتى على حسـاب " جودة " الحياة فيـها مما قد يؤثر على حركة السياحة الضخمة التى تفد إليها.

المساكن الشعبيـة :

٨٠ ٪ من مواطنى سنغـافورة ومقـيميـها يعيشـون فى مسكان شعـبية بنتـها الحكومـة على مدى الاربعين عـاما الماضيـة ، وأنشأت لذلك هيـئة قـوميـة قوية وثرية هى مـجلس تطوير الإسكان هى التى تنشىء وتدير تلك المسـاكن التى لا يخلو منها حى واحد فى سنغافورة ،والمساكن الشعـبية التى نتحدث عنها ليست مساكن شـعبية بالمعنى الذى نعرفـه ويتبادر لاذهاننا ، فهى مسـاكن بالغة الاناقة والنظافـة والتنظيم وبها وحـولها كل المرافق التى تتـوافر فى أى سكن مـتميز ، صحـيح أنهـا لا توصف بالفخـامة ، ولكن أناقـتهـا ونظافتـها وتميـزها والمرافق المحيطة بها والمواصلات الميـسرة التى تمتـد اليها تجعلها حلماً لأى إنسـان من دول العالم الثالث أن يجد فيها شقة .

والمساكن الشعبية أو الحكومية حق لكل مواطن، كل المطلوب أن يتقدم لشرائها بالتقسيط ، والأقساط قد تكون على عشرة أو عشرين أو حتى أربعين سنة المهم أن يجد الجميع المأوى والسكن اللائق، والمساكن الشعبية ثلاث مستويات فمنها القديم الذى يجرى تجديده وتحديثه وهى تلك التى مضى على بنائها أكثر من ٢٥ عاما وهناك التى بنيت منذ نحو عشر سنوات ، أما المساكن الشعبية الفاخرة فهى تلك التى تتمتع بمميزات إضافية ثانوية فى معظمها وكما قلنا فإن هناك حداً أدنى لمستوى هذا النوع من المساكن لا تسمح الحكومة بأقل منه،و الأهم فى موضوع المساكن الشعبية فى سنغافورة هو الاهتمام والالتزام بصيانتها ونظافتها دون كلل أو ملل و كأن من يسكنونها هم كبار القوم وخاصتهم.

وبعد عزيزى القارىء فقد كان هذا الفصل محاولة لالقاء الضوء على الحياة فى سنغافورة ، ونظرا لأن الواقع أكثر غنى ورونقا من أى كتاب ونظرا لأنه ليس من سمع كمن رأى ،فإن ما سبق لم يكن محاولة لتعبئة الواقع وسكبه على ورق أو فى صور ، ولكنه كان محاولة لالقاء الضوء على بعض جوانب الحياة فى بلد بعيد ، ووصف تلك الحياة بين لفظى كان و أصبح ليس من باب الانبهار المطلق ولكن من باب الوصف الأمين والنقل الموضوعى ، **وختاما** لن أنسى ما حييت كيف كان اليوم الأخير لى فى سنغافورة ، يوم أن أكملت إستعداداتى للرحيل عن هذا المدينة الرائعة التى باتت تحتل مكانا خاصا فى العقل والقلب أيضا . ففى هذا اليوم استعرض عقلى رغما عنى شريطا طويلا وكثيفا من الذكريات عمرها أربع سنوات .

وأغرقتنى الذكريات فى بحر تمتزج فيه مقادير هائلة من شجن الرحيل وتأمل فيما جمعته فى جعبتى من تلك السنوات الأربع من خبرات ودروس ، وعدم تصديق أننى سأرحل دون أمل كبير فى العودة ، وقبل كل ذلك وبعده أمنية شديدة العمق والصدق فى أن أرى بلادى تنقل و تستفيد من أولئك الذين خطوا خطوات واسعة ناجحة فى تحقيق التنمية الحقيقية وليس تنمية الشعارات.

لقد وعدت القارىء الكريم أن يخلو كتابى من المقارنات المباشرة بين واقع

بلادنا العربية وسنغافورة لكننى على ثقة من أن تلك المقارنة لاشك أنها قفزت قفزا إلى خاطر القارىء وبصيرته فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب.

قديما تعلم الشرق والغرب من العرب والمسلمين ونقلوا عنهم علومهم وحضارتهم وثقافتهم وأسلوب تفكيرهم ، إلا أن العرب المسلمين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا عندما اجتهدوا فى تعلم - وليس فقط نقل - ما كان لدى الحضارات الأخرى السابقة لهم ،وهذا دليل على أن التعلم والاستفادة من الآخرين شرط للتقدم وليس عيبا . فالواقع أن العيب هو إما أن أرفض التعلم من غيرى تحت اى مسمى من المسميات ، أو أن أكتفى بالنقل للقشور والجلوس فى مقعد المتلقى وليس مقعد المشارك ، وعلى قدر تقدم الاتصالات وما توحى به من أن التعلم والنقل باتا فى عصرنا الحاضر أسهل من العصور السابقة ، إلا أن الواقع يؤكد أن النقل والتعلم باتا عملية أكثر تعقيدا وتشابكا مما كانت عليه هذه العملية فى العصور السابقة ولكنها أيضا أكثر أهمية .

سنغافورة دولة صغيرة حجما ،كبيرة فى العديد من الأشياء الأخرى وهى نموذج لا تتجاهله أكبر الدول فى العالم وتنظر إليه بكل إعجاب وتقدير كدولة استطاعت أن تصنع معجزة من لا شىء وعلينا فى عالمنا العربى أن ننظر إليه أيضا بهذا التقدير ،ونحاول أن نمد جسور التعاون والاستفادة المتبادلة معه مستغلين ما بيننا وبين تلك الدولة الصغيرة من علاقات سياسية متميزة وتاريخ لا يحفل إلا بالاحترام المتبادل والتعاون الذى لم يترجم -بالقدر الكافى وللأسف -حتى الآن إلى الأهم ، وهو التعاون الاقتصادى والتكنولوجى وهو لاشك بيت القصيد فى هذا العصر.

بيانات الكاتب

الاسم : أحمد مصطفى عبدالعال .

المهنة : دبلوماسى بوزارة الخارجية المصرية .

عمل بالسفارة المصرية بسنغافورة منذ عام ٢٠٠١ حتى ٢٠٠٥ .

تخرج فى كلية الإعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م .

الاتصال : ahmed mostafa 35@yahoo. com

محتويات الكتاب

مقدمة 5

الفصل الأول : مشوار بعيد 9

الفصل الثانى : كتاب الجغرافيا وكتاب التاريخ 23

الفصل الثالث : الأقتصاد أولا 45

الفصل الرابع : السنغافوريون 73

الفصل الخامس : الحياة فى جزيرة صغيرة عظيمة 95

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

مصطفى ، أحمد.

الجزيرة الفاضلة: سنغافورة / أحمد مصطفى.

ـ الجيزة: وكالة الصحافة العربية ، ٢٠٠٨ .

١٢٧ص، سم .

تدمك ٠ ١٥٤ ٤٤٦ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ سنغافورة ـ وصف ورحلات

أ ـ العنوان

٩١٥,٩٢

رقم الإيداع / ١٥٢٢٥

هذا الكتاب :

سنغافورة بلد لا يعلم عنها غير الآسيويين كثيرا سوى اسمها ،وإن أعطيت الكثيرين خريطة لجنوب شرق آسيا فلن يستطيع معظمهم أن يضع أصبعه بدقة على مكانها حتى يستغرق بعض الوقت فى البحث عنها فى مكان ما وسط عشرات الآلاف من الجزر المفتتة فى وسط أرخبيل الملايو .

ولكن الحجم ليس كل شىء بل هو أحيانا لاشىء ،ففى داخل هذا الحجم الصغير وجد الكاتب من خلال المعايشة الفعلية تجربة هى -دون شك - من ألمع التجارب إبهارا فى القرن العشرين ، تجربة تؤكد أن الإنسان ،وليس أى شىء آخر ،هو الذى يصنع التقدم أو عكسه ،ويبنى الازدهار أو ضده ،ويريح نفسه وأجيال من بنيه وحفدته أو يورثها المشكلات والمحن.

تلك التجربة الرائعة هى محور هذا الكتاب الذى يحاول أن ينقل لقارئ العربية بعضاً مما يحدث على الجانب الآخر من المحيط الهندى من نقلات هائلة يذكرها الحاضر باحترام وسيذكرها التاريخ أيضا بكل التقدير ، ويضيف إلى ما اعتاد القارئ العربى أن يراه فى مقالات وموضوعات متفرقة عن جنوب شرق آسيا والنمور الآسيوية والمؤشرات الاقتصادية الباهرة ،إلى غير ذلك من مواد تختزل ال[illegible] وتقع تارة فى مصيدة الانبهار التام بتجربة شعوب تبدوا كما [illegible] من أهل الخوارق يحولون التراب تبرا والصخر ماساً ،لا يخطئ[illegible] ينسون ،وهو ما ليس صحيحاً ..،وتارة أخرى تبسط التجربة وت[illegible] ولا تصل إلى السبب الأساسي الكامن وراء تقدم شعوب ودو[illegible] عنا فى أقصى الطرف الجنوبى الشرقى لآسيا ،وهى شعوب [illegible] أقرب من نقتدى به ونأخذ عنه ربما أكثر من أية دول أخرى .



